حراء

مجلة علمية ثقافية أدبية

www.hiragate.com

دورية تصدر كل شهرين

السنة الثالثة عشرة / (نوفمبر - ديسمبر) ٢٠١٧

63

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary | November - December 2017

بين سمو وسمو

لو عَلّقتَ بقلبك هذا التسامي،

لَعِشتَ قرير العين طول حياتك،

وإن كنتَ اليوم سعيدًا تمرح،

فكيف مصيرك يوم التلاقِ؟!

***

٢ روح الإسلام **فتح الله كولن**

٠٠ جُحا الأتراك.. فكاهات بطعم الحكمة **سنان يورولماز**

٠١ مستقبل ثلاثي الأبعاد **د. فيث أبوت**

الأرواح الوضَّاءة

مما يزيدنا أملاً ويبعث فينا روح العزم والإقدام، تلك الأقلام الخصبة التي لا زالت تكتب وتعبِّر، وتلك العقول الوضَّاءة التي لا زالت تبصر وتهدي، وتلك النفوس الزكية التي لا زالت تتقدم الصفوف وتنير الدروب.. ومما يزيدنا أملاً ويبعث فينا روح العزم والإقدام أيضًا، استضافة "حراء" لتلك الأقلام والعقول والنفوس، وبسط صفحاتها بين أيديهم ليلجوا عالمها الزاخر بالعلم والفكر والمعرفة، ويسهموا في الفتح الإيماني الذي يُجلي الكروب ويمحو الهموم عن قلب الإنسانية المكلوم.

ولا شك أن الأستاذ فتح الله كولن بقلمه الندي هو رائد هذا الأمل، حيث يحوك من خيوط اليأس نسيج الغد المشرق، ويزرع في الأرض المكتئبة أشجار الأمل المنبثقة من روح الإسلام الحنيف وقيمه السامية العليا ليداوي نفوسنا اليائسة والمحطومة.. ففي مقاله الرئيس لهذا العدد "روح الإسلام"، يدفع شُبَه كل متشكك بجدوى الحياة الروحية والإيمانية، ويؤكد أن المسلمين لو تفهَّموا الحركيةَ التي أوجدتها العقيدة الإسلامية في القلوب المؤمنة، فسيفهمون الأسباب والدوافع الحقيقية للهبوط والصعود على مستوى الفرد والمجتمع، بل سيدركون من جديد الروح والأسسَ المهمة التي يجمعون بها شملهم ويرجعون بها إلى وعيهم ومن ثم يلحقون بالقافلة التي تأخَّروا عنها.

الدكتور "محمد السقا عيد" يأخذنا في هذا العدد إلى عالم الطيور، يحدثنا عن ذكائها ويحلق بنا في عوالمها فيما وثق من معلومات نقرأها لأول مرة. و"العطري بن عزوز" يصور لنا العلاقة الوثيقة بين "المعرفة والأخلاق"، مركِّزًا على صلة العقيدة بالتربية والتعليم، وعلى واقع المنظومة التربوية في عالمنا، والرؤية المنهجية للقرآن الكريم.

أما "نبيل طنطاني" في مقاله "المفتاح"، فيشير إلى مكانة "اقرأ" الراسخة في عمق الإسلام، وإلى تبعات غيابها عن عقول المسلمين قرونًا مديدة، وذلك من خلال حوار ممتع يجريه بين كلمة "اقرأ" و"الإنسان المسلم"، فندرك من خلاله سبب هجران هذه الكلمة ديارَ المسلمين.

وفي مقاله "الرفض والمعارضة عند الطفل بين الصحة والمرض"، يقف "بركات محمد مراد" على نقاط غاية في الأهمية تخصّ تربية الطفل، ملفتًا الأنظار إلى أنه "إذا أردنا أن نربي أبناءنا بالطريقة الصحيحة، علينا أن نؤصل فيهم معرفة الخطأ من الصواب، وننمي لديهم حرية التفكير والتوصل إلى أهدى السلوك". وفي "أزمة الفكر والوعي المنهجي" يسعى "خالد أوعبو" إلى إيجاد أجوبة على أسئلة حول طبيعة الأزمة التي يعاني منها الفكر الإسلامي، وتراجع الأداء الحضاري للأمة، ودور بناء الوعي المنهجي في الإقلاع الحضاري المنشود.

ولمفكرين غربيّين نصيب في هذا العدد، حيث كتب "فيث أبوت" عن مستقبل الإنسانية المطبوع بثلاثي الأبعاد، مركِّزًا على الطابعة ثلاثية الأبعاد والدور الذي ستقوم به في تشكيل عالم الإنسانية الحاضر والقادم.

هذه إشارات إلى بعض ما دونته أقلام نيرة في هذا العدد الزاخر بمقالات أخرى هي بمثابة الزاد للفكر والروح والوجدان.. والله من وراء القصد. ■

المحتويات

روح الإسلام / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
طيور ذكية / د. محمد السقا عيد (علوم)	٦
المعرفة والأخلاق.. أيّ علاقة؟ / د. العطري بن عزوز (قضايا فكرية)	١٠
بطل الإرادة / حراء (ألوان وظلال)	١٣
مساجد من طين / د. ناصر أحمد سنه (ثقافة وفن)	١٤
المفتاح / نبيل طنطاني (قضايا فكرية)	١٨
الرفض والمعارضة عند الطفل بين الصحة والمرض / أ.د. بركات محمد مراد (تربية)	٢١
الإنسان بين النعم والنقم / أ.د. أحمد مليجي (قضايا فكرية)	٢٥
العواصف العملاقة / قادر فيرتينا (علوم)	٢٩
أنانية الفرد وأنانية الجماعة / فتح الله كولن (قطوف)	٣٢
أزمة الفكر والوعي المنهجي / خالد أوعبو (قضايا فكرية)	٣٤
في جسمنا آلة تصوير / خلف أحمد أبو زيد (علوم)	٣٧
سبحان ربك / د. حسن الأمراني (شعر)	٤٠
الميزان في العاطفة الأبوية / د. الشريف حاتم العوني (قضايا فكرية)	٤١
مفهوم الحرية في الأسرة المتوازنة / د. عبد الحميد الداودي (تربية)	٤٤
المدن الساجدة / د. يحيى وزيري (ثقافة وفن)	٤٨
مستقبل ثلاثي الأبعاد / د. فيث أبوت (علوم)	٥١
جُحا الأتراك.. فكاهات بطعم الحكمة / سنان يوروماز (تاريخ وحضارة)	٥٥
الفلسفة التربوية من سقراط إلى كولن / د. جيل كارول (قضايا فكرية)	٥٨
البوصلة / حراء (ألوان وظلال)	٦١
لماذا تنضب الأفكار؟ / السنوسي محمد السنوسي (قضايا فكرية)	٦٢

روح الإسلام

نجزم أنه إن كان هناك جو يسمح لبني الإنسان أن يتنفسوا منتعشين فما هو إلا جو الإسلام. فلم تزد النُّظُم المفروضة على الإنسانية جمعاء إبان القرن أو القرنين الأخيرين إلا اضطرابًا وشقاء. وأول الداء أنها جميعًا كانت غريبة عن روح الإنسان غربة بعيدة. وربما ائتلف الإنسان مع بعضها ائتلافًا مؤقتًا، لكن الرفض وعُسْرَ القبول الداخليَين لم يسكنا أبدًا. وكان ذلك يولِّد في كثير من الناس شكوكًا سارية في البواطن حيال كل الأنماط والنُّظُم الفكرية، فكان من الطبيعي أن يكون هذا النوع من انعدام الثقة والشك والتوجس سببًا لأزمات جديدة. لذلك صار كل نداءٍ جديد وكأنه سبب لأزمة جديدة ويستتبع رفضًا جديدًا. ولا عجب في ذلك؛ لأن هذه النظم المفروضة على الإنسانية، كانت تستند على افتراضات تنطوي على ثغرات واسعة وكثيرةٍ في العلاقة بين الحياة والكون والخالق. ومن جانب آخر، إنَّ نَقْص العلم بماهية الإنسان، بل الجهل بها، وكذا إقصاء الحياة القلبية والروحية للإنسان إقصاءً كليًّا، هما من النواقص المهولة التي لا يملأ شيءٌ الثغراتِ الحاصلةَ من جرائهما في هذه الأنظمة.

ولم يتيسر لأي نظام وَضْعُ توازنٍ بالِغ الدقةِ في تصور العلاقة بين الإنسان – الكائنات – الله، من غير تركِ فراغاتٍ إلا للإسلام. فإن التشكُّلاتِ المعنويةَ أو المنظوماتِ الماديةَ قبله، أو النُّظُمَ والتيارات التي وَعدت بالخلاص والأمل بعده، لم تُشبِع حاجاتِ الإنسانية، بل قَصُرَتْ عن الآمال التي وَعدت بها. و"الغلطُ" العظيم اليوم، هو الانصراف إلى إشباع الرغبات الجسمانية في حين أن لَـهَفَ الإنسانية أو حاجتها تَرجع إلى الجوع القلبي والروحي. إن الكد في إشباع الجوع واللهف المعنويَين بتسمين الأبدان، لا يختلف عن إرواء الظمآن بماء البحر. ومنذ سنين وسنين تعيش الإنسانية جمعاء، وعالَمُنا خاصة، في هذه الحلقة المفرغة.. فكلُّ حملة وهمَّة لإشباع رغبات الإنسان البدنية، أبعدَتْه عن الروح مسافة أخرى، وكلُّ انسياق منه نحو الابتعاد، وَلَّدت فيه لونًا جديدًا من الهذيان.. وكلَّما طال توجُّعُ الإنسان في قبضة حاجاته الجسمانية جراءَ خواءِ حياتِه القلبيةِ والروحية في هذه المرحلة، ازداد وقاحةً باعتبار البدن، فنَصب مطالبَه النفسانية حاكمًا وحيدًا على القيم الإنسانية جمعاء. والحال

أن الابتعاد عن روح الإسلام هو السبب الأساس الكامن لمعاناة الإنسانية جمعاء من جوعٍ وعطشٍ حقيقيَين.

وإذ نقول "روح الإسلام"، لا نعني حاله الذي يبدو في واقعنا الحاضر ومن زاوية نظرنا ووِجهةِ تقويمنا له، باهتًا وذاويًا وفاقدًا بَريقَ جاذبيته السماوية، بل بألوانه ورقوشه البراقة، وكما كانت -ولا زالت- أرواحٌ طاهرةٌ تستشعره فتتذوقه، وكما أحسَّه إنسانُ عصرِ السعادة وعاشه. هذا الروح لا يزال كالبحر الذي لا تسكن أمواجه، طاهرًا أبدًا، نديًّا، عميقًا لا يتكدر قط بالأوساخ الفكرية لأي زمانٍ أو مكانٍ. لكنَّ الوصولَ إليه وتمامَ الاستفادة منه يتطلب تثبيتًا للنية وتسديدًا لزاوية النظر، وعلوًّا في الهمة، وثباتًا في المثابرة، وصدقًا في التوجه، وثقة بالأصل الذي ينتمي إليه.

ومهما كان الروح هذا كاملاً وربانيًّا وفعَّالاً، فلن يستفيد منه منتسبوه وممثلوه استفادة تامة -مع عظم ثرائه وسعته- إلا بنية سليمة متمادية، ونظرٍ وتقويم صائب، وعزم ثابت على الكشف والاجتهاد، واعتقاد واطمئنان إلى أن كل مطلوب ومنشود هو فيه. وبغير ذلكم يصعب عليهم التغلب على الجوع والفقر وشتى الاحتياجات والعلل، حتى ولو قضوا عمرًا في الالتصاق بهذه الخزينة السماوية؛ لأن العالَم الذي لم يزل يُمَدُّ بغذاء القرآن والسُّنَّة، لن يطمئن بشيء غيرهما. وأنا شخصيًّا أومِن بأن كثيرًا من معضلات العصر المستعصية ستنحل، وكثيرًا من أمواج الأزمات والدواهي المتلاطمة ستتكسر أو تتلاشى أضرارها في أقل تقدير، ذلك في حال التمسك بالقرآن والسُّنَّة، وإدراك مراميهما بالدرجة التي كان عليها المخاطَبون بهما في العصور الأولى.

والحقيقة أن الإسلام في عالمنا، كان -وما زال- مصدرَ غذائنا الأصل كحليب أمهاتنا، وكان له الدور الأساس في توجيه مشاعرنا وأفكارنا وتقويماتنا، وكان رفيقَنا في بيوتنا، وهواءَنا الذي نتنفسه في حياتنا أبدًا، ولم نشعر قط بغربةٍ أو وحشة حياله. وبالمقابل، فكم طَرقتْ الأيديولوجياتُ والمبادئُ الغريبةُ المَنشَأِ أبوابَنا وهزت نعراتُها أزِقَّتَنا، لكنها لم تَلِج دواخلَنا، ولم تمتزج بأرواحنا، ولم تَكُنْ لنا أو نكن لها البتة؛ بل أثارت حفيظتنا من أول وهلة لغرابة صورها ووجوهها، وأثارت شكوكنا فيها، وتقززت بيئتُنا الفكريةُ

كان الإسلام -وما زال- مصدرَ غذائنا الأصل كحليب أمهاتنا، وكان له الدور الأساس في توجيه مشاعرنا وأفكارنا وتقويماتنا، وكان رفيقَنا في بيوتنا، وهواءَنا الذي نتنفسه في حياتنا أبدًا، ولم نشعر قط بغربةٍ أو وحشة حياله.

منها، فلم تجد لها محلاً في جسم أمتنا إلا بمقدار الضعف الذي أصاب جهازنا المناعي.

لقد كان الإسلام -وما يزال- يحتضن حياتَنا وحاجاتِنا وهياجَ مشاعرنا، بحيث إننا وجدناه قريبًا منا في وطننا وجغرافيتنا ومُدُنِنا وبيوتنا إلى درجةِ أن كثيرًا من حركاتنا وتصرفاتنا وفعالياتنا كاد يصطبغ بشيء كثير من ألوانه؛ فصبغته في سلوكياتنا وأعضائنا، ومَدُّه وجَزْرُهُ في أذهاننا، وصوتُه ونَفَسه في قلوبنا، وآثارُه على وجوهنا، ونَفَثاتُه في رُكبنا وكعوبنا، وفواصلُه المُريحة لنا إبان تَعَبِنَا، وإلهاماتُه الداعية إلى التفكر إبان راحتنا، وتصرفاتُه في أرواحنا، ومشاركته لنا في أمواله، وكونُه صاحبَ القول الفصل في حياتنا الفردية والعائلية، وحضُّه الصادقُ لنا على التحابب والتعانق فيما بيننا، ووعوده بالخلود في انبعاث آمالنا وأمانينا، وحلوله المتوازنة التي ينشرح لها القلب في مسائل الحق والعدالة والمساواة.. كل هذا ربَطَنَا به من أعماقنا، بل جَعَلَنا مُدمِنين عليه، حتى إنه لو تخلى عنا يوما -لا سمح الله- فأظن أننا سنهلك همًّا وغمًّا وكمدًا.

لقد استغلت نُظُمٌ معلومة قِيَمًا مثلَ الحق والعدالة والمساواة والأمن العالمي، كوسيلة للوصول إلى أهداف معينة، أو لتحقيق بعض المبادئ والتعاليم. أما الإسلام، فقد تَطلَّع إلى هذه القيم العالمية في نقطة الالتقاء بين سعادة الناس ورضا الحق تعالى، فحَقَّق إرادةَ الله تعالى ومطالبَ البشر في آن واحد. وهو يطالب المسلمين بأن يتمسكوا هم أيضًا بهذه النقطة. وبناء على هذا، فالمسلمون إذا رعوا "الحق" و"العدالة" و"المساواة" بدرجةِ أهمية الموضوع، ولم يستخدموا هذه الأفكار السامية كمطايا لتلبية رغباتهم الجسمانية والنفسانية، وأداموها مشدودةَ الوثاق بالحق تعالى، فليس ببعيد أن يصلوا -إن لم يكن في العاجل ففي الآجل- إلى مقام يُغبَطون عليه. هذا

hiragate.com

المقام هو مقام فيه يحبون الله ويحبهم الله ويغبطهم البشر. إن الدافع الأول في حيازة هذا المقام هو قوة الإسلام التي لا تُقهَر، ونمطُ حياةِ المسلمين المغبوطة.

إن الإسلام لا يحتاج إلى دعايات كحاجة الأيديولوجيات والمبادئ المستوردة من الخارج؛ فمرجعيته هو ذاته وسلوكياتُ ممثليه الأوفياء. إنه يحث دائمًا على الوقوف بجانب الحق والنهوضِ به، ويَعُدُّ توقير الحق واحترامَه أكبر العبادات. يقول "محمد عاكف" في بيتٍ له (ترجمته): "الحق مِن أظهرِ أسماء الخالق الحسنى والتي ما لها عد *** فما أعظمه شرفًا أن يَنهضَ العبدُ بالحق وعنه يذودَ".

فقد قال هذه الفكرةَ اللطيفة في إطار تلك النكتة الفريدة المذكورة آنفًا، ونحن نعدُّها صوتًا ونفسًا لحقيقةٍ لن نتخلى عنها أبدًا.

الإسلام يتحرك أبدًا وفاقًا لقاعدةِ "القوةُ في الحق"، ولا يستسلم أبدًا لتسلط القوة الظالمةِ أو الجامحة. فهو يقف منتصبًا ويمشي رجولةً، لا يُشجِّع الظلم، ولا يخضع للظالم، فيقول كما قال "الشاعر باقي" (مترجمًا):

"لن يشوب وجوهَنا للأرذال تذللٌ،
لِدنيا دنيئةٍ،
وبالله اعتصامنا وعليه التوكل".

ثم يمضي إلى غايته.

إن التوازن بين الحق والقوةِ موضوعٌ مهم يتطلب اهتمامًا خاصًّا وشرحًا وبسطًا أوسع. ولكنا سنكتفي الآن بالإشارة إليه، ونؤخر تفصيله إلى وقت آخَر.

إن الإسلام يَعتبر العدلَ والاستقامة -في أوسع أُطُرهما- نمطَ حياةٍ للفرد والعائلة والمجتمع.

نعم، إن الفرد الذي رَبَطَ حياتَه بالإسلام، يفكر في استقامةٍ ويعيش في استقامة، ويسعى للبقاء في إطار الحق دائمًا، ويتخذ موقفه ضد الظلم والحيدِ عن الحق، بدءًا من نفسه، ويسعى جاهدًا للحفاظ على حقوق الآخرين مثلما يسعى للحفاظ على حقوق نفسه، بل يرعاهم أكثر بدقة متناهية. فيعيش حياة موزونة وكأنها مشدودة إلى ميزان.

إن موضوع العدل والاستقامة أيضًا، من المواضيع التي يجب أن تُتَنَاوَل وتُحلَّلَ بإسهاب، ولكن إطار هذه المقالة لا يتسع لذلك.

والإسلام يعُدُّ المساواة مَطلبًا للحق تعالى ولازمًا من لوازم توقير الإنسان، ويَعُدُّ الإخلالَ بها أو إبطالها جرمًا عظيمًا بحق الإنسانية. فهو يتخذ موقفًا واضحًا ضد التمييز بسبب اللون أو العِرق أو الإقليم أو الطبقة الاجتماعية، ولا يَفْتُرُ في الكفاح الفكري ضد هذا الفهم المنحرف في كل مجال. والإسلام يهتم اهتمامًا بالغًا بمراعاة فوارق الاستعداداتِ والمهارات ويشجِّع على تنميتها، ويَرعى تكافؤَ الفرص والاستفادةَ المتساوية من الإمكانات. فهو يرفض الكيانات القائمة على أساس الأصل والأرومة، ويُبطل -إبطالاً باتًّا- الحاكميةَ لفئة معينة كنوع من الأوليغارشية (حكم الأقلية) ولو في أي وحدة من وحدات الحياة. إنه يفسح السبيل للمواهب الفردية ويحفز النجاح، ويَعُدُّ ذلك من ضروراتِ ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾(الزخرف:٣٢)، ولكنه يواصل الكفاح ضد الأفكار المونارشية.

الإسلام يحتضن كل فرد وفئة بنفس المستوى من الدفء والحنان. ويأخذ بعين الاعتبار حاجاتِ الجميع وطلباتِهم في خط سوي واحد، وينادي بصوت جهوري أنْ ليس إنسانٌ فوق إنسان، ويؤكد بلا كلل على المساواة وتكافؤ الفرص معًا. ويحمل حملةً لا هوادة فيها على إخماد الاستعدادات في دياجير الإهمال، أو تكبيل القابليات وشلِّها في قيود الميلاد غير النخبوي. ويقف منتصبًا حيال الصعود والرقي من غير حركيةٍ داخلية للفرد أو جهدٍ صادق منه، ويعلن على الملأِ أنَّ هذه الحال غير أخلاقية، ويُرجِع هذه السلوكيات اللاأخلاقية إلى بؤس الروح وانحطاطه.

والإسلام يسعى إلى انتزاع البؤس والانحطاط والذلة من الأرواح، بإزالة الأسباب والدوافع المادية، وبتحفيز قوة الإرادة الفردية بمشاعر الإيمان والمعرفة والإحسان. نعم، إن صيانة الروح من كل أنواع الدناءة والبؤس والانحطاط، إنما يتأتى باللجوء إلى الدرع السابغ المكوَّن من الإيمان القوي والمعرفةِ الواسعة والمراقبة الدائمة. وإن بلوغ الروح بهذه التجهيزات إلى الإشباع والاطمئنان، يَفتح عين الإنسان على أمور حياتية فائقة الأهمية وفوق أمور البدن والجسمانية بأبعاد شاسعة. وعلى الضد، فالمحرومون من التجهز بهذا الجهاز، يتعسر -أشد العسر- صونُهم للقيم

hiragate.com

الإنسانية وصمودهم أمدًا طويلاً. فبؤسُ الروح وانحطاطُه يبعِد الفرد عن ذاتيته، فيكون عرضة للانجراف إلى هنا وهناك، والانصبابِ في هذا القالب أو ذاك، وينجرُّ إلى انفصام لا مفر معه من الوقوع في خدمة أبواب الأسياد، والاسترقاقِ لهم عاجلاً أو آجلاً.

ونحن نؤمن بأنا إذا تَفَهَّمنا الحركيةَ التي أوجدتها -أو توجدها- العقيدةُ الإسلامية في القلوب المؤمنة، فسنفهم الأسباب والدوافع الحقيقيةَ للهبوط والصعود أو السقوط والارتقاء على مستوى الفرد أو المجتمع، بل وسندرك -من جديد- الأسسَ المهمة التي نجمع بها شملنا ونرجع بها إلى وعينا ونلحق بالقافلة التي تأخَّرنا عنها. وأنموذجُنا الذي نَحتذِي به في هذه القضية هي أصولنا الذهبية التي حَملتْ راياتِ في مراحل الارتقاء كافة، وفي المقدمة رجال عصر السعادة (النبوية). فإذا استَقْوَينا -في خط فهمهم ذاك- بماضينا التليد كمصدر سرعةٍ منطلقة "عن قوة الطرد المركزي"، وتَمَسَّكْنا بجذورنا المعنوية الذاتية أشد التمسك، "وتوكَّلنا على الله، وتشبثنا بالسعي والعمل، واستسلمنا للحكمة الإلهية" (كما قال عاكف) -ولا بد من ذلك- فحينئذٍ لا شك ولا ريب في أن القمم التي تبدو وكأنها عصية على العبور ستتمهد، وستنبسط السهول بلا عوائق.

إن مجتمع عصر السعادة والمهندسين العظام لتاريخ أمتنا، هم الذين مثلوا الإسلام حق التمثيل، سواء في حياة "الفكر والحركية"، أو في عالم الوجدان. فقد نشأوا وتربوا في ظل القرآن والإقليم الفياض للإسلام، وعاشوا أعمارهم في أفقٍ صعبِ المنال يَفصل بين الفناء والخلود.

إن تحول هذا المجتمع الذي كان قبل الإسلام صلبًا للغاية، بل وحشيًّا ومتعصبًا لعاداته ومعانِدًا أشد العناد ومتهاويًا بالأخلاق السيئة والعادات الفاسدة.. إن تحوُّل هؤلاء بحملة واحدة إلى جماعة أنموذجية؛ بعقلها وقلبها وروحها ونَفْسها، ليس إلا معجزة باهرة للإسلام. فهؤلاء أنصَتوا للقرآن، وتربوا بغذاء القرآن، وعشقوا صاحب القرآن ﷺ، فإذا بهم يجدون أنفسهم في صعيد البناء والإعمار والإحياء بعوالمهم الشعورية والفكرية والحسية. لقد تبدلوا من أخمص القدمين إلى ذروة الرأس بحماسِ انبعاثٍ جديد، واجتَنَبوا الأخلاق السيئة والعاداتِ القاتلة، وحارَبوا -بلا هوادةٍ- جميع الرغباتِ الجسمانيةَ غيرَ المشروعة بمخالفتهم الدائبة للنفس، وكممثلين فضلاء لنظامٍ فاضل عَقَدوا العزمَ على "إحياء الآخرين"، ففَضَّلوا "إحياءً غيرهم" على حياة أنفسم، وكرسوا حياتهم لإسعاد الآخرين، وظلوا يقظين وحذرين دائمًا حيالَ أيِّ انزلاق، بملاحظة احتمال الضعف البشري. وفي حال تعثُّرهم بالمعاصي، توجَّهوا إلى الحق تعالى بالتوبة والإنابة والأوبة بقلوبٍ خالصة أشد الخلوص، وتحروا على الدوام عن سبل الارتقاء العمودي، فعاشوا مبرمَجين على التحليق في الشواهق. لم يستسلموا قط، بل صمدوا شامخين حيال أي انسحاق ينشأ عن قلَّتهم، أو وحشةٍ تنبع من الغربة والوحدة، أو تعرُّضِهم -بين حين وآخر- لأنواع الاضطهاد والتخويف والغبن والظلم والحرمان. وإلى جانب هذا المستوى من المقاومة الصامدة تَصرَّف كل واحد منهم وكأنه "فدائيُّ المحبة"؛ فاحتضنوا كل أحد، وفتحوا لهم صدورهم، واحترموا أفكار الآخرين، وسعوا من أجل تحقيق المتطلبات اللازمة للارتقاء إلى مستوى "الإنسان الكامل". صنعوا عالمًا جديدًا كل الجدة بالمعارف المنسابة إلى أرواحهم من القرآن والسنة، وحققوا على أرض الواقع قيمَهم الإنسانية الكامنة فصاروا قدوة للآتين من بعدهم.

أولئك هم جذورنا الذين توجهوا إلى الخالق ووجدوا قبلتهم الحقيقية؛ فبالعبودية للحق انعتقوا من العبودية للهوى، والعبوديةِ للقوة، والعبوديةِ للشهوة، والعبوديةِ للشهرة وغيرها من أنواع العبوديات.. وتجردوا من السفالات التي تُلقي بالإنسان في أحضان البؤس. نحن كنا أولئك، ونحن اليوم "تمثُّلُهم" في الحاضر، وهم أصولنا، وسيكون الآتون من بعدنا هم فروعنا.

نحن أبناء الإسلام؛ أَنْصَتْنا إليه في تنهيدة الأمهات في بيوتنا، واستمعناه في صرير المهاد، ورضعناه من أثداء أمهاتنا، وتنفسناه في هوائنا. كان الإسلام أبدًا في شغاف قلوبنا، ولم يقف غريبًا عنا بتاتًا. ■

---

(٥) نشر هذا المقال في مجلة "يَنِي أميد" التركية (أبريل ٢٠٠٠). الترجمة عن التركية: عوني عمر لطفي أوغلو.

hiragate.com

د. محمد السقا عيد*

طيور ذكية

ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية هو العقل والذكاء، ولكن الإنسان ليس الكائن الوحيد الذي يتميز بالذكاء في مملكة الأحياء، فهناك كائنات أخرى تشاركه هذه الصفة بنسب متفاوتة. وهذا المقال يرصد ذكاء الطيور فيما وثق من معلومات بعضها يميط اللثام عن تفاصيل نتعرف إليها للمرة الأولى. ويقدر العلماء عدد الطيور البرية ٢٠٠-٤٠٠ بليونًا، وبعض أنواعها تتسم بذكاء شديد كونها قادرة على حل ألغاز معقدة.

قام الباحثون في جامعة "أوكلاند" في "نيوزلندا" بدراسة حول "غراب كاليدونيا الجديدة"؛ حيث وضعوا أمام الطائر أنبوبًا بلاستيكيًّا وفي نهايته قطعة من اللحم، عندما لم يستطع الطائر الحصول على قطعة اللحم بمنقاره، جاء بغصنٍ ثم غرسه في قطعة اللحم وأخرجها من الأنبوب ثم أكلها. ونجح عصفور يدعى "نايغل" في متحف الفن في "نيوزلندا" في استغلال اثنين من أجهزة الاستشعار في فتح مجموعة مزدوجة من الأبواب، وعندما انتهى الطائر من الأكل، عاد وفتح الأبواب من جديد وخرج من المكان.

أصحيح أن البومة تتمتع بالحكمة؟

إن البومة من الطيور الماهرة في الصيد، لكنها ليست الأكثر ذكاء من الطيور أو الحيوانات الأخرى كما يبدو من هالة الحكمة التي تحيط بها، أو التي صورتها الرسوم المتحركة وبرامج الحياة البرية، حيث كشفتْ إحدى الدراسات أن البومة الرمادية فشلت مرارًا وتكرارًا في اختبار معرفي بسيط، على الرغم من نجاح أنواع عديدة

من الطيور في حل الاختبار، لكن هذا الأمر لا يعني أن البومة طائر غبي.

أفضل المواد في البناء

توصلت دراسة علمية إلى أن الطيور لديها قدرة تعلم طريقة اختيار أفضل المواد لبناء أعشاشها. وكان الاعتقاد السائد، أن اختيار الطيور لمواد بناء الأعشاش يتحدد بناءً على جيناتها نظرًا لاحتواء كل نوع منها على "نموذج عش غريزي"، لكن التجربة العلمية أظهرت أن هذا النشاط يعتبر أكثر تعقيدًا من الناحية المعرفية، ونشرت نتائج هذه الدراسة في دورية "Royal Society Journal Proceedings B".

أتيح خلال الدراسة للطيور فرصة الاختيار من بين مجموعة قش مرنة وصلبة لبناء أعشاشها. قالت "إيدا بايلي" من جامعة "سانت أندروز" والمشرفة على الدراسة: "وجدنا أن العصافير "زيبرًا" تفضل القش الأكثر صلابة"، وأضافت: "يعتبر القش الصلب أكثر كفاءة للبناء بالنسبة لهذه العصافير، إذ يمكنها بناء عشها بمواد أقل". كما بحثت "بايلي" وزملاؤها، قدرة الطيور على التعلم بهدف تحديد ما إذا كانت تلك الطيور بإمكانها التمييز بين المواد بالاعتماد على خصائصها.

ولإجراء هذا الاختبار، أعطى الباحثون مجموعة من العصافير قشًّا مرنًا لبناء الأعشاش، بينما أعطوا مجموعة أخرى قشًّا أكثر صلابة، بعد ذلك أتيح لمجموعتي العصافير الاختيار بين القش المرن والصلب، فاختارت العصافير التي دأبت على بناء أعشاشها بالقش المرن على الفور تلك المواد الأكثر صلابة.

ذكاء خارق وقدرات منفردة

يتمتع الحمام الزاجل بالذكاء الخارق وقدراته المنفردة التي هيأه الله بها بين الطيور والتي تمثلت بالقدرة على الصبر، والمطاولة للوصول إلى أبراجه ومن مسافات بعيدة جدًّا، وتحت أصعب الظروف والتقلبات الجوية الممطرة، والرياح العاتية.. لقد بدا الاهتمام بتربية هذا الطائر منذ أيام حُكم الخلفاء العباسيين، وروي بأنه عندما حاصرت جيوش الإفرنج العرب في مدينة عكا برًّا وبحرًا، لجأ العرب المحاصَرون داخل الحصن إلى استخدام حمام الزاجل في إرسال الرسائل إلى مقر القيادة في مصر لاطلاعهم على الموقف الصعب الذين هم فيه، الأمر الذي ساعد السلطان صلاح الدين الأيوبي على اتخاذ الإجراءات السريعة لفك الحصار عن مدينة عكا وتخليص العرب المحاصرين، هذا بالإضافة إلى مشاركة هذا الطائر النادر بنقل العديد من الرسائل إبان الحرب العالمية الأولى والثانية.

أكثر الطيور ذكاء

أثبت العلم الحديث أن الغراب طائر شديد الذكاء، ومن أوضح الأدلة على ذلك أنه يدفن موتاه من بني جنسه ولا يتركها نهبًا للجوارح من الطيور أو غيرها من الحيوانات المفترسة أو التعفن أو التحلل في الجو؛ صونًا لكرامة الميت وترفقًا بالبيئة والأحياء فيها. فقد

حراء
hiragate.com

الحمام الزاجل

ثبت أن الغراب يقوم بحفر الأرض بمخالبه ومنقاره ليكون حفرة عميقة فيها، ثم يقوم بطيّ جناحي الغراب الميت وضمهما إلى جنبيه، ورفعه برفق لوضعه في قبره، ثم يهيل عليه التراب حتى يخفي جسد الغراب الميت تمامًا. أيضًا بعد موت أحد الغربان، تقف جميع السربان لعدة ثوان بصمت تام، ثم يحلق الجميع دون أي صوت وكأنه طقس جنائزي للغراب الميت.

وفي أكيتا اليابانية تستغل الغربان ساعة الذروة المرورية للحصول على الجوز، وعندما تكون الأضواء حمراء تضع الجوز على الطريق وتنتظر حتى يتحول الضوء إلى الأخضر فتسير السيارات وتسحق العجلات الجوز.

لقد كشفت أبحاث ودراسات في جامعة واشنطن، أن للغربان ذاكرة ومهارات تواصل أكثر مما اعتقد الناس بكثير، واستطاع العلماء إثبات هذا بتجارب؛ حيث تم ارتداء أقنعة خاصة أثناء القبض على الغربان ووضعها داخل الأقفاص، وبعد فترة من الزمن أطلق سراح هذه الغربان، ثم قام الشخص الذي ارتدى القناع بالتوجه إلى الأماكن التي تتجمع فيها هذه الغربان، وذلك للتأكد من أن الغربان ستتذكر وجه من قبض عليها أم لا، وكانت المفاجئة أن تذكر الغربان وجهه، وصاحت تحذيرًا للغربان الأخرى، وفعلوا هذا مرارًا وتكرارًا على مدى سنتين على الأقل.

ذكاء الببغاء

وجدت دراسات حديثة أن الكثير من الطيور والحيوانات تستطيع تطوير مهارات معقدة، منها الببغاوات القادرة على صنع أدوات للحصول على الطعام، والقادرة

على تعليم بعضها كيفية القيام بذلك. وقد استطاعت الببغاوات الذكية خلال التجارب، كسر أعواد رفيعة من قطع الخشب وتمريرها من تحت القفص، للحصول على الطعام الشهي الذي لا يمكنها الوصول إليه بنفسها. ذكاء الببغاء كذكاء طفل في الثالثة.

يصنّف العلماء الببغاوات على أنها من الطيور شديدة الذكاء، ويشيرون إلى أنها قادرة على تعلُّم العد إلى الرقم ثمانية، وقادرة على تعلُّم أسماء أطعمتها المفضلة، حتى إن بعض الببغاوات قادرة على تعلُّم معاني الكلمات. وبإمكان الببغاوات الرمادية فهم العلاقة السببية بمستوى فهم طفل في الثالثة من عمره. هذه هي النتيجة التي توصل إليها علماء ألمان ونمساويين من جامعة "جورج أوغست" في "غوتنغن" وجامعة "فينا".

وقد استخدم العلماء تجربة بسيطة لأجل الحصول على نتائج تبين إمكانية الببغاوات على التفكير المنطقي؛ حيث كانوا يعرضون على الطيور قدحين بلاستيكيين متشابهين يحوي أحدهما على جوزة والآخر فارغ. بعد ذلك كان العلماء يخضُّون الأقداح لتتمكن الببغاوات من تحديد أي القدحين فيه غذاء. ونجحت جميع الببغاوات في تحديد القدح الحاوي على الغذاء.

البومة

البغاء ذو العُرف

البغاء ذو العُرف هو أحد أنواع البغاوات المشهورة والقليلة في أستراليا وبعض دول آسيا، يُلقّب هذا النوع بالببغاء خبير السرقة، وذلك لقدرته على فتح معظم الأقفال. وبينت دراسة نشرتها جامعة فيينا، أن ذكر البغاء من هذا النوع تمكّن من الحصول على حبة مكسراتٍ بعد فتح أحد الأقفال التي يتطلب فتحها منه أن يقوم بإزالة دبّوس، ثم برغي مسمار حلزوني، ثم مسمار آخر صغير، ثم إدارة عجلةٍ ٩٠ درجة، ثم تحريك مزلاج القفل الرئيسي جانبًا.. وهي مهمة قد يصعب على الإنسان حلّها بسهولة، في حين تمكن هذا البغاء من فعلها دون مساعدة خلال ساعتين فقط.

وجميعنا يعرف قدرة البغاوات على محاكاة الأصوات، لكنها تتفاوت في قدرتها هذه لأسباب مختلفة، كما أظهر بعضها قدرات ومهارات تنمّ عن ذكاء قلّ مثيله في عالم الحيوان. وما يدعو للاستغراب فعلاً، هو ماهية السبب الذي يدفع هذه الطيور للتقليد بدلاً من تطوير لغة خاصة.

الهدهد ذكاء فطري

الهدهد طائر أنيق، يتسم بالذكاء واليقظة والحذر، وسرعة الملاحظة وقوة الذاكرة وسعة الحيلة، والإيمان الفطري

الهدهد

والتسبيح اللاإرادي.. وبما وهبه الله تعالى من قوة الذكاء الفطري، يستطيع الهدهد تنظيف فريسته مما لا يفيده من طعام مثل الأصداف، والأجنحة، والأرجل، والزوائد الأخرى؛ وذلك بضرب فريسته في الأرض عدة مرات، ثم يمزق الفريسة المنظّفة بمنقاره، ويبتلعها قطعة قطعة. يتميز الهدهد بسرعة كبيرة في الطيران، وله قابلية التخفّي والدفاع عن النفس من مطاردة الطيور والحيوانات المفترسة بشكل رائع وسلمي، وذلك لامتلاكه أسلحة دفاعية متميزة، مثل التمويه بواسطة الاستحمام بالرمل والتراب ليتخفى من أعدائه، فضلاً عن استخدام رش الروائح الكريهة في المكان من غدة بقاعدة الذيل، كي يبعد كل من يقترب منه. كما يخدع الهدهد أعداءه الطائرين في السماء، بأن يلقي نفسه على الأرض مغيرًا شكله تمامًا، بحيث يختفي شكله كطائر، فلا يهاجمه الخصم.

صفوة القول

على الرغم من أن العلوم المكتسبة أدركت مؤخرًا قوة الملاحظة والتمييز والقدرة على التعبير في العديد من الحيوانات ومنها الطيور، إلا أنها لم تستطع أن تعرف بدقة قدرات كل كائن حي على إدراك الأحداث التي تمر أمام ناظريه، وعلى الانفعال بها، والتفاعل معها، ولا كيفيات عمل المخ في كل واحد من هذه الكائنات الحية، والاكتشافات الأخيرة في علوم سلوك الحيوان تؤكد ذلك وتدعو إليه. ■

(*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

د. العطري بن عزوز*

نظام التربية والتعليم في أمة من الأمم.. مؤشر قوة وإمكانية استمرار

نظام التربية والتعليم في أمة من الأمم، هو بمثابة النظام الذي يحمل أسرارها وخصائصها. وبدراستنا لهذا النظام وتحليل لمكوناته، يتبين لنا مدى قوة هذا المجتمع وإمكانية استمراره وبقائه أمام التحديات. ومن أبرز مؤشرات النظام التعليمي التربوي، أصوله العقدية التي تترجم لنا الهوية الحضارية للأمة، ذلك أن هذه الهوية لم تتخلق إلا في رحم قيم العقيدة الإسلامية المنبثقة من المنهج القرآني، ويتعلق الأمر

بغرس القيم في ظل منظومة تربوية ما -كيفما كانت هذه المنظومة وفي أي الأحوال- وتوجيه الشحنات المعرفية والقيمية الكافية لتأهيل المعلم أو الأستاذ لأداء رسالته على الوجه المطلوب ونقل القيم إلى الأجيال.

علاقة العقيدة بالتربية والتعليم

التعليم عملية متكاملة تترابط وتتداخل مع كثير من الأمور المعرفية، وهذا التداخل المعرفي يكون في كثير من الأحيان جسرًا يوصل المربّين إلى تحقيق غاياتهم، ويؤسس في الوقت نفسه مسارات معرفية بين المعلم والتلميذ، ويفتح الباب واسعًا لتقبل المعلومات وتنميتها وتطويرها. ومن الأسس الهامة التي تبنى عليها التربية والتعليم، ترسيخ العقيدة الصحيحة، إذ هي التي تعطي تصورًا شاملاً عن الكون والإنسان والحياة، وأن الوجود كله خاضع لسنن الله تعالى ليقوم الإنسان بوظيفته دون خلل أو اضطراب، والإيمان بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً. والحياة الدنيا مرحلة إنتاج وعمل يستثمر فيها المسلم طاقاته عن إيمان وهدى للحياة الأبدية الخالدة في الدار الآخرة، فاليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.

وغرس العقيدة في النفوس، هو أمثل طريقة لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملاً في الحياة، فهذا اللون من التربية والتعليم، يضفي على الحياة ثوب الجمال والكمال، ويظللها بظلال المحبة والسلام.

لقد كان الفيلسوف والمهندس مالك بن نبي، رائعًا في استفادته من المؤرخ ابن خلدون الذي أبرز دور النبوة في صناعة الإنسان المؤمن الإيجابي. فلا حضارة بدون عقيدة وبدون إنسان فطري بسيط كعمر بن الخطاب ﷺ، ذلك المؤمن الحق الذي كان ينام تحت شجرة في الطريق وهو أمير المؤمنين[1].

واقع المنظومة التربوية في عالمنا

المناهج التربوية الحديثة، هي نتاج عقل الإنسان الذي حاول أن يضع منهاجًا لنفسه يسير على خطاه، وقد نجح في بعض الجوانب إلى حد ما، ولكنه فشل فشلاً ذريعًا في كثير من الجوانب النفسية والروحية والوجدانية وحتى العقلية، ذلك لأنه غفل عن المنهج

غرس العقيدة في النفوس، هو أمثل طريقة لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملاً في الحياة، فهذا اللون من التربية والتعليم، يضفي على الحياة ثوب الجمال والكمال، ويظللها بظلال المحبة والسلام.

الرباني الذي جاء به الرسل والأنبياء لهداية الإنسان إلى المنهج الصحيح. فأغلب المناهج التربوية السائدة اليوم في العالم، تكرس للفكر المادي على حساب الجانب الروحي في الإنسان، فهي لم تستطع ضبط تصرفات الأطفال والتحكم فيهم تربويًّا، وأمسى الطفل متحررًا من كل شيء، وخصوصًا في عصر التكنولوجيا والثورة العلمية الحديثة ووسائلها اللامحدودة والتي جعلت السيطرة عليه شبه مستحيلة. وقد أبعدت المنظومة التربوية اليوم كل السلطات، بما فيها سلطة المعلم والأستاذ والأسرة وغيرهم؛ فالمنظومة التربوية السائدة اليوم في العالم العربي والإسلامي، مكنت المتعلم -سواء في الابتدائية أو الثانوية أو الجامعة- من التحرر والتخلص من الرقابة الذاتية، مما جعله عرضة لنموذج فكري ثقافي أحادي، أفرزته العولمة التي لم نحسن التكيف معها وفق مقاصدنا وأهدافنا، وهكذا انصهر المجتمع في ثقافة الآخر نتيجة فشل المنظومة التربوية التي فتحت باب الغزو الثقافي على مصراعيه، مما سبب في ظهور مشاكل اجتماعية كظاهرة العنف والعدوان في المدارس، ذلك لأن تلك المناهج التربوية همشت القيم الروحية والوجدانية ودور التربية الإسلامية.

فمن أكبر أخطاء دعاة التنوير والغزو الثقافي، والمنبهرين بالمدنية الغربية ومناهجها المادية، ظنهم أن الإصلاح في المناهج التربوية والتعليمية في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا هو أن نستمد من الغرب، وأن المسلمين والعرب يجب أن يتخلوا عن كثير من مفاهيمهم في سبيل امتلاك التكنولوجيا، ولكن التجارب المتوالية التي ضاع فيها المال والجهد والوقت، برهنت عكس ذلك.

إن المواد والمناهج التي تدرس في البلاد الإسلامية حاليًّا، إنما هي نسخ مما عند الغربيين، وهي تفتقر

hiragate.com

إلى الرؤية التي تمدها بالحياة في بيئتها الأصلية، وهي بهذه الصورة تصبح من عوامل الضعف، هذه المواد والمناهج التي لا روح فيها تظل بشكل لا شعوري تؤثر في الطالب تأثيرًا سيئًا؛ من حيث إنها تقف كبدائل للمواد والمناهج الإسلامية وكعوامل للتقدم والتحديث. إنها تجعل من الخريج في جامعات العالم الإسلامي نموذجًا للشباب المغرور الذي يظن في نفسه العلم مع أنه في الحقيقة لا يعرف إلا قليلاً[٢].

الرؤية المنهجية للقرآن الكريم

عند النظر في القرآن نجده يركز على أربع قيم أساسية تتكرر في آياته، وهي العلم، والإيمان، والعمل، والتقوى؛ فالعلم يستمد أصوله من الله تعالى، فهو العالم بحقيقة الوجود قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٨٢)؛ فتحقيق التقوى، سبب للحصول على العلم النافع. قال القرطبي في تفسير هذه الآية: "وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه، أي يجعل في قلبه نورًا يفهم به ما يُلقى إليه، وقد يجعل في قلبه ابتداءً فرقانًا، أي فيصلاً يفصل به بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(الأنفال:٢٩).

فالمنهج التربوي في القرآن يقوم على تربية الإنسان الكامل، بمعنى أن القرآن يخاطب عقله ونفسه ووجدانه وروحه، فيربيه تربية ذاتية، أي يجعله أمام نفسه مبينًا ما فيها من دوافع الخير التي تحفز على الطاعة والعمل الصالح، خصوصًا وأن الإنسان يملك الحرية والإرادة والعقل الذي يحميه من الوقوع في المعاصي. فالأسلوب القرآني في التربية يعتمد على النظرة التكاملية التي تحقق النتائج النافعة والسريعة والهادفة والمحققة لكثير من النتائج، فمثلاً حينما نأتي لهذه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم:٢١).

فلما نتأمل هذه الآية، نجد أنها تتحدث في البداية عن وحدة الخلق، وتلفت انتباه النفس إلى أصالة النشأة حتى تحس بالاطمئنان من تلقي الدرس الذي يشتمل على الدعائم التي يقام عليها صرح الأسرة، وبعد التهيئة تخلص الآية إلى السكن الذي يصدر عنه الحنان والعطف، ثم المحبة والرحمة اللتان تتوافق بهما النفس مع الروح ويتم التآلف والانسجام، وفي الأخير ينبه الإنسان إلى أهمية العقل بالدعوة إلى استخدام الفكر، فيما اشتملت عليه الآية من دلالات وحكم في الدرس القرآني التربوي التكاملي الذي يخاطب الإنسان بكامله؛ النفس، الوجدان، الروح، العقل، والقلب، فتنسجم هذه الجوانب كلها، وينتج عنها شخصية متكاملة قادرة على الإبداع من أجل خدمة الأسرة والمجتمع والأمة كلها. وإذا احتاج العقل إلى مطلبه حثه على العلم والمعرفة والنظر والتأمل والتفكير، وهذه نسميها التربية العقلية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(العنكبوت:٣٥).

وحين نتكلم عن التربية والتعليم، نتكلم عن العلم والعمل معًا بمفهومهما الإسلامي، وليس عن التربية والتعليم بمفهومهما الغربي. فالإسلام لا يعرف هذه القسمة المأخوذة عن الغرب، لأنه لا يوجد فصل في الإسلام بين المعرفة والأخلاق، والعلم والعمل كما في الفلسفة الغربية. فالإسلام يهدف إلى تربية العقل والإرادة لأنهما معًا أداتا التكليف، وهما محل التكريم من الله تعالى للإنسان، فالله تعالى جعل لعقل الإنسان وإرادته مكانًا لا نظير لهما في أي مذهب من المذاهب التي تنتصر للعقل أو للإرادة في التاريخ كله، فأفعال الإنسان محكومة بالمشيئة ومسبوقة بالمقادير، ومشيئة الإنسان مخلوقة له وممنوحة من الله تعالى، ولذلك فإن الإنسان مسؤول مسؤولية كاملة عن أفعاله، لذلك فالتفرقة بين التعليم والتربية، أو بين العلم والعمل، تعد تفرقة فاسدة وضارة، وأول من قال بها "سقراط"، لأنه أول من جعل المعرفة فضيلة، حيث قال: "الفضيلة علم والرذيلة جهل"، لكن الإسلام لم يفصل بين العلم والعمل، وجعل العلم من أجل العمل، ولذلك قرن الله تعالى الإيمان بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾(الكهف:١٠٧).

hiragate.com

فالمنظومة التربوية القرآنية تعتمد على معيارين أساسيين، هما العلم والإيمان، وهما معًا يشكلان وحدة مترابطة متفاعلة متكاملة في المنظومة التربوية القرآنية؛ فالإيمان أساس التربية والأخلاق وهما أساس العلم، والعلم أساس العمل، وبهذا ينتهي بنا المنهج القرآني في التربية، إلى هذا البناء القيمي التربوي التعليمي الإسلامي، ذلك لأن قيمة العمل هي الغاية القصوى التي بها يستطيع الإنسان أن يحقق مراد الله تعالى في الأرض، وهو عبادة الله وعمران الأرض، فلا قيمة للعبادة دون العمل ولا وجود لعمران وحضارة بدون عمل.

فالقرآن جاء بالفرائض الخمسة التي نعبر عنها بالسلوك العملي من أجل تغذية الإنسان روحيًا باستمرار، ويركز القرآن على التقوى التي هي الرقابة الذاتية التي تمنع من الانزلاق والخروج عن الهدف المسطر، وهذه القيمة هي التي نحتاجها في المنظومة التربوية اليوم من أجل تحصين المسلم من الغزو الثقافي الجارف والذوبان في ثقافة الآخر وعاداته وتقاليده. فالتقوى هي الوعي بالذات واستحضار رقابة الخالق ﷻ وأنه لا يفارقه في أي وقت.

مما يحتم على الخبراء في التربية والتعليم، إعادة النظر في دراساتهم وأبحاثهم فيما يتعلق بالمناهج التعليمية التي يجب أن تراعى فيها خصائص المجتمع والتطورات الحاصلة في العالم، لأن عالم القرن الحادي والعشرين سيكون عالمًا تهيمن عليه قيم وأنماط ثقافية وحضارية، ويتميز بالنمو الهائل والسريع للمعرفة في كل الميادين، ويصبح التعليم متاحًا أمام الطلاب في مختلف أنحاء العالم، ويجب التكيف معه بالاستعانة بالمنهج القرآني التربوي الذي يحصن المجتمع من التفكك والانحراف. ■

(*) باحث في الدراسات الإسلامية والإعجاز / الجزائر.

الهوامش

(١) الروح وميلاد الحضارة، لعبد الحليم عويس، مجلة حراء، عدد: ١٤ (مارس - أبريل) ٢٠٠٩، ص:٦١.

(٢) أسلمة المعرفة، لإسماعيل الفاروقي، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٨٤، ط:١، ص:٣٣.

بطل الإرادة

تغدو الطرق عصية على السير أحيانًا،
وتختلّ لدى ضعاف النفوس المشاعر،
لكن أخا الإرادة يشق ألف طريق،
ويجري دون توقف كالأنهار.

***

د. ناصر أحمد سنه*

مساجد من طين

تشييد المساجد فن معماري إسلامي متميز، له شواهده الهائلة التنوع حيثما حلّ الإسلام وصلى المسلمون، لكن النسق المعماري ومواد البناء في إفريقيا، لهما طابع خاص وبصمات فريدة.

المسجد الكبير في "جينيه"

المسجد الكبير في "جينيه" بدولة مالي، من أشهر المساجد وأكبر المراكز التعليمية في القارة السمراء خلال القرون الوسطى، وبالتالي إنه أكبر صرح من الطوب اللبِن في العالم، ولقد اعتبرَتْه "اليونيسكو" عام ١٩٨٨ "تراثًا عالميًّا يتوجب على الأسرة الدولية حمايته".

يقع المسجد على ضفة نهر ناني، قام بتشييده الملك "كوي كونبورو" عام ١٢٤٠، ثم أعيد بناؤه عام ١٨٩٦، وبين عامي ١٩٠٧-١٩٠٩ أقيم على هيئته الحالية. أشرف على بناء المسجد -في مطلع القرن العشرين- المعماري المالي "إسماعيل تراوري"، ثم بعد ذلك أضيفت الكابلات الكهربائية، ومكبرات الصوت، وأنابيب المياه، وغطيت مساحات من جدرانه بالقرميد. شُيدت جدرانه من الطوب اللبِن "فيري"، وغطيت

المسجد الكبير في جينيه

بالطين المخلوط بالتبن وهو ما أعطاه المظهر الناعم الصقيل. يتراوح سمك الجدران ما بين ٤٠-٦٠ سم تبعًا لارتفاعها. فكلما علا الحائط زاد سمكه، وذلك ليتسنى لأساسه حمل ثقله. أما ميزة الجدران الطينية؛ أنها تحمي الداخل من الحرارة نهارًا، وتمتص ما يكفي من الحرارة نهارًا لتدفِّئ داخل المسجد ليلاً.

للمسجد ست مجموعات من السلالم، ويقع مدخله الرئيس على الجانب الشمالي من البناء. ترتفع فوق قبلة المسجد ثلاث مآذن مربعة الشكل مستندة على ١٨ دعامة، وتنتهي كل واحدة منها بالمخروط التقليدي الذي يحمل بيضة نعامة. للمبنى فناء يعادل مساحة المصلى الذي يستند على ٩٠ عمودًا خشبيًا، ويتزيَّن سقفه بنوافذ تُفتح للتهوئة إذا ارتفعت درجة الحرارة فيه.

لقد أقام المعماري "تراوري" المسجد على منصة عالية تبلغ مساحتها ٥٦٢٥ مترًا مربعًا، ولعل ذلك يعود إلى فيضان نهر "الباني"، الذي يحدث في مدينة "جينيه" بكثرة. يقام في مالي كل سنة احتفال خاص يشارك فيه سكان المنطقة -صغارًا وكبارًا- في صيانة المسجد من آثار الأمطار والشقوق التي يحدثها تغير درجة الحرارة والرطوبة.

يتسع المسجد نحو ثلاثة آلاف مصلي، وهو من الأماكن السياحية المميزة ولا سيما في فصل الصيف. يحيط المسجد مجموعة من الأشجار التي تضفي جمالاً آسرًا على روعته وعظمته. إنه أحد أعظم إنجازات الطراز المعماري للمنطقة السودانية الساحلية المتأثر بملامح عربية مغربية.

مسجد "أغاديس" و"ياما"

تم بناء مسجد "أغاديس" بمدينة "أغاديس" في النيجر من الطين (بانكو) عام ١٥١٥، وأعيد ترميمه وبناؤه عام ١٨٤٤. هيكل المسجد، هو المعلَم البارز في هذه المدينة الصحراوية، يشخص بُرْجه ومئذنته كمنارة وسط الصحراء. ويحتاج برج المسجد الطويل لسقالات عند كل ترميم وإصلاح. وقد استطاع "الطوارق" حلَّ هذه المشكلة بإدراج عوارض خشبية تخرج من جدرانه وتؤدي نفس الغرض.

أما مسجد "ياما" أو "مسجد الجمعة" في النيجر، بني على الطراز المعماري السوداني الساحلي، وحصل على جائزة آغا خان للعمارة عام ١٩٨٦، وقد شيد عام ١٩٦٢ ليجتمع فيه سكان قرية "ياما" للصلاة. أسس هيكله من الطوب الطيني، ويحيط به سور منخفض في الحد الشرقي للقرية. أما اليوم فقد نمت القرية وأصبح المسجد أقرب إلى مركزها.

يتميز بناء مسجد "ياما" باستخدامه المبتكر للتقنيات والمواد التقليدية، فقد استعاض المعماري عن السقف التقليدي، بنظام من العقود المصنوعة من حزم العصي التي

مسجد أغاديس في النيجر

تثنى لتأخذ شكل العقد ثم تدفن في الأعمدة. وقد اتبع نفس الأسلوب في بناء القبة باستخدام عدد من العقود المتقاطعة. أما الجدران والأعمدة فمبنية من الطوب النيء بعد تجفيفه في الشمس وإضافة التبن إلى الطين لحمايته من التشقق.

مسجد "بوركينا فاسو"

هندسة معمارية تتسم ببساطة لافتة، وسكينة روحية تستقطب مسلمي المنطقة كامل أيام السنة ولا سيما في شهر الصيام. إنه مسجد "ديولاسوبا" في مدينة "بوبو-ديولاسو" ثاني أكبر المدن بعد العاصمة واغادوغو التي تقع غربي "بوركينا فاسو". ولقد حافظ المبنى على أصالته

مسجد ساحل العاج

ورونقه، متحدّيًا انسياب أكثر من قرن على بنائه، ليظل الوجهة المفضلة لمسلمي البلاد. فهو يتسع نحو ٨٠٠ مصليًا يتوافدون إثر الإفطار لأداء صلاة التراويح والتهجد.

ولقد شيده المعماري "سيديكي سانو" عام ١٨٨٠، واستغرق بناؤه عشر سنوات. ومن بعيد، يتراءى المسجد عبر مناراته الثلاثة الشاهقة. وتعتبر هذه المنارات مكانًا يقضي فيه الأئمة فترات طويلة من حياتهم. تضم واجهته أشكالاً مخروطية شبيهة بكعك السكّر، وتتسم جدرانه بصلابة لافتة مدعومة بـ٤٢ ركيزة مقسّمة على تسعة صفوف، ولم يغفل مصممه عن تخصيص قاعات لاستقبال النساء. طليت جدرانه بلون مائل إلى الصفرة، وتتخلّلها ثقوب تتوسّطها أعمدة بلون جذوع الشجر. ولا يزال المسجد صامدًا ومحافظًا على معالمه حتى اليوم.

مساجد "ساحل العاج"

في الشمال من ساحل العاج أكثر من ٣٠٠ مسجد، ولا يختلف طرازها المعماري إلا من حيث السعة وعدد المآذن. تنقسم أشكالها إلى ثلاثة أقسام: المساجد العادية، والمصليات، وأماكن التلاوة. أما المساجد الجامعة فمبنية من الطين ولكل منها مئذنة، وأسلوب عمارتها يشبه الأسلوب السوداني. تقوم جوانبها على دعامات مربعة، ويأخذ المسجد شكلاً متوازي المستطيلات، حيث يتراوح الطول الجانبي ما بين ١٥-٢٥ مترًا، ويبلغ الجدار من ٦-٨ أمتار، وهو يتجاوز السطح بأشكال مسننة وهي إحدى مميزات الفن المعماري الإفريقي في المساجد والبيوت.

تقف الجدران بواسطة دعامات ضخمة متباعدة بانتظام، ويربط بينها أعمدة خشبية أفقية. أما السقف فطبقة سميكة من التراب المضغوط بعناية، وفيه شقوق تتسرب منها مياه الأمطار إلى أفنية تلقي به خارج البناء. يستند السقف على أربعة صفوف من الدعامات ذات قواعد مستطيلة باتجاه القبلة، حيث تقسِّم هذه الدعامات المسجد الجامع إلى خمسة أقسام. ويتصل أعلى الدعامة بالعوارض الخشبية التي تدعم الألواح السميكة المصنوعة من خشب متين (ألومو) والتي تغطي السقف من الداخل.

وقد يكون للمسجد مئذنة أو أكثر، فإن كان له مئذنة واحدة فتقع دائمًا فوق المحراب، وتكون الثانية في الشمال، والثالثة في الشرق.. ومن النادر أن نجد للمساجد مآذن مربعة، فكلها هرمية الشكل، وجدرانها مسلحة بأخشاب متينة تستعمل عند الضرورة سلمًا يصعد عليه من يريد ترميم المآذن. وهناك سور يحيط بالمسجد وباحته المستديرة، وتطلى واجهته الخارجية بمادة سميكة تقيه من الأمطار الغزيرة.

أما أبواب المساجد فمصنوعة من خشب شجر (الفروماجة)، الذي يكثر في إفريقيا الاستوائية، ومزينة بخطوط هندسية محت معالمها الأمطار الغزيرة. والمحراب

مسجد بوركينا فاسو

محفور في الحائط، ينير جنباته ضوء خافت من السراج عند ما يحين موعد صلاة الفجر والعشاء. وإلى جانب المحراب يقوم المنبر كدكة مرتفعة، وهناك رواق خاص بالنسوة. والملفت للنظر عدم وجود أماكن للوضوء في المساجد الجامعة، حيث الإفريقي يغشى المسجد متوضئًا.

مساجد "غينيا"

عادة، العلماء وكبار أهل المدينة هم الذين يختارون موقع بناء المسجد، ويشرف الإمام على بنائه، ويتطوع السكان بالعمل، فينقل الشباب مواد البناء، وتنقل النسوة الماء، ويقوم الشيوخ بإعداد الملاط، كما يُقدِّم الإمام والأغنياء للعمال والبنائين ما يقيم أودهم حتى تنتهي أعمال البناء.

يتكون المسجد الجامع من غرفة مربعة مبنية بالآجر والملاط، ويتراوح ارتفاعها من ٣,٥ إلى ٥ أمتار. جبهة المسجد ليست واحدة في جميع الأنحاء، حيث يتحدد طولها وفق رغبة أبناء المدينة؛ فعرض جبهة المسجد في "الدانغراي" -مثلاً- يبلغ عشرة أمتار، ويقل عن ذلك في مدينة "لابة" المشتهرة بمسجدها الجامع وبمساجدها الصغيرة. تغطى القبة الواسعة في هذه المساجد بالقش، وقد تكون القبة قطعة واحدة كما في مسجد "بيتا" ومسجد

مسجد لارابانج في غانا

"تيمبو"، أو قد تبنى بأنواع متشابكة متداخلة من القش، حيث تشكل طبقات مستديرة متتابعة تصغر شيئًا فشيئًا حتى رأسها، كما الحال في مسجدي "لابة" و"الدانغراي".

وتمتاز قرى منطقة "بيتا" بمساجدها ذات الباحات الواسعة والحدائق المشجرة. أما في "تيمبو" فلا تزال آثار المسجد الذي بني عام ١١٦٠هـ بادية بالرغم من الحرائق المتعددة التي تعرض لها. أما مسجد "الدانغراي" الجامع (مسجد الحاج عمر) الذي شُيِّد عام ١٨٥٠، فقد هُدم مرتين عام ١٨٦٢ وعام ١٩٠٤، ثم أعيد بناؤه. يبلغ محيطه خمسين مترًا، وارتفاع سقف المصلى خمسة أمتار، وله عشرة أبواب. ويرتفع مركزه نحو ستة عشر مترًا، ويعتمد البناء على خمسة أعمدة ضخمة. ولا توجد نقوش أو زينة داخل المسجد أو على جدارنه. أما المئذنة "سيرو" فعبارة عن مرتفع صغير مبني بالآجر والطين، ويتراوح ارتفاعها ما بين متر وثلاثة أمتار.

خلاصة القول

على امتداد تاريخها ومساحتها الممتدة من السودان ومرورًا بدول المغرب العربي، ومالي، والنيجر، ووسطها، إلى أقصى جنوبها، نشأت حضارات إفريقية متعاقبة، دول وممالك، وحواضر وبوادي.. لها من التراث المعماري والحضاري حظ وافر ونصيب زاخر. إنها بساطة معمارية بادية، وتباين مميز، وتفرد مبهر وبخاصة المساجد الطينية روعة العمارة الإفريقية. ■

(*) كاتب وأكاديمي / مصر.

نبيل طنطاني*

المفتاح

١

اختفت "اقرأ" عن عقول المسلمين أزمنة بعيدة وقرونًا مديدة، بسبب هجرانها في ديارهم ورحالهم ومناهجهم ومجتمعهم، فقررت أن تخرج إلى واقع الناس لتحاور المسلمين، لعلها تُحيي النفوس التي عشش فيها الجهل، وتوقظ الهمم التي أماتها ضعف الإرادة. وكان من أول مَن لَقيَت من المسلمين، مسلمًا يزعم معرفة الإسلام ويدَّعي الإلمام به، فسألته بأدب جم وخطاب راقٍ عن مفتاح الإسلام، فأجابها على السؤال من منظوره للإسلام واستيعابه لحقائقه وأهدافه بأنه "الشهادتان". فقالت:

– ألم يخطر ببالك أن يكون الجواب، هو البشرى الربانية التي منَّ بها الله سبحانه على محمد عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(العلق:١-٥)؟

فتعجَّب من جوابها وسكت مستغربًا، ثم سألته:

– هل تعلم أن الإسلام بيتٌ له أركان لا يقام من دونها؟

فأجابها دون تردد: "نعم". فقالت:

- قد يوجد البيت وتوجد معه أركانه وينقصه مفتاح، فما مفتاحه يا صديقي الذي هو سر البيت ومنبع أنواره؟

فسكت دون أن يبدي جوابًا وطلب منها الجواب فقالت:

- إن مفتاح الإسلام هو "اقرأ"، وبدونها لا تكشف حقائق الدين ومقاصد الإسلام، وإن الله قبل أن يأمر نبيه في أول آية بالسجود الذي هو أعظم صور العبودية التامة لله ﷻ وأقرب ما يكون العبد من ربه وأفضل صور الصلاة التي تعتبر اتصالاً روحيًّا مستمرًا بين الإنسان والخالق، فقد سبقه الأمر بـ"اقرأ" ثم ختمه بقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(العلق:١٩)، وكأن الإنسان يقرأ ليسجد فيقترب من الله ﷻ ومن العبودية التامة ومن دين الإسلام الحق.

ثم أردفت:

- أتدري أنه تنتشر بين المسلمين أفكار مؤدّاها أن الدخول إلى الإسلام يحتاج إلى الشهادتين والاغتسال من الجنابة؟

فقال هذا مما هو معلوم من الدين بالضرورة. فقالت:

- أتعلم أن الإسلام العلمي لا يقبل الدخول إليه إلا بلفظ "اقرأ"، والاغتسال من جنابة الجهل والأمية، لأنه تعالى قال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾(محمد:١٩)؟ هل تعلم أن "اقرأ" أول لفظ قرع أذن النبي ﷺ؟ وأنها أول أمر نقل النبي ﷺ من عالم الأمية إلى تحقيق مقاصد التعليم في رسالة رب العالمين؟ وأنها أول لفظ جاء في صيغة الخطاب الأمري التكليفي للفرد والجماعة؟ وأنها بداية بناء الأمة ونهاية مطلب بقائها قوية إلى آخر الساعة، ومع هذا لا زال سر هذه الكلمة المفتاح في حكم يفتقر إلى من يعلمه ويبث نوره في أفاق الدنيا؟ وأنها كلمة لا تزال تتحدى بإيجازها كثرة عقول المسلمين في مشرق الأرض ومغربها، ليعقلوها ويفُكّوا لغزها السماوي الكوني الذي يجمع بين قراءة كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور؟ ولو أن المسلمين اليوم انتهوا من هذا الجدال الفكري والخلاف المذهبي الذي هدم قواعد قوة المسلمين واعتصموا بقانون "اقرأ"، لحسموا معارك فكرية -قادها أبو جهل وأخته أمية- أصاب عقل الأمة فجُنّت،

أتعْلم أن الإسلام العلمي لا يقبل الدخول إليه إلا بلفظ "اقرأ"، والاغتسال من جنابة الجهل والأمية؟ هل تعلم أن "اقرأ" أول لفظ قرع أذن النبي ﷺ؟ وأنها أول أمر نقل النبي ﷺ من عالم الأمية إلى تحقيق مقاصد التعليم في رسالة رب العالمين؟

وساسها في الحكم فاستعبدها، وسبقها في مقدم الركب فأخرها.. فانتهى حال الأمة يا صديقي إلى الإغراق في أوهام فكرية ظنها الناس علومًا، وسمّوها فنونًا، وتسابقوا على حرزها وتنافسوا في حفظها وعقدوا مجالس لتلقينها حتى سكنت أرواحهم لسكراتها.. ولو سألت أحدهم: يا صديقي ما محل إعراب هذه العلوم والأفكار في حياتك؟ لأضمر الجواب وقدره في حكم الكائن والمستقر في نفسه لا في حكم المستقر في الواقع والحياة والمجتمع والكون. فلا عقل يفكر، ولا نظر ينتقد، ولا علم يهدي، ولا دليل يُسترشد به.. هذه هي عاقبة الإعراض عن الهدي المنهجي لـ"اقرأ".

يا صديقي هل سألت نفسك يومًا عن جهلك وأنت مُعْرِض عن "اقرأ" ويستمسك بها غيرك؟ هل حاسبت نفسك وعرفت معنى ذلك؟ إنه نهاية وجودك، وانقطاع عرفاني بينك وبين أنوار الوحي، وخروجك من مملكة الرب، التي أنت خليفة لله فيها، لأنك السر الذي عجزت الملائكة عن الإحاطة بمكنونه، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٣٠). هل فكرت في هذا السر مرة في حياتك؟ هل سألت عن سبب إسجاد الملائكة لك سجود تحية وسلام؟ هل سبب ذلك جمالك أو لونك أو جسمك أو هيئتك؟

فسكت سكوتًا عميقًا ولم يعد يستطع النطق. فقالت:

- إنها علم "اقرأ" الذي به ارتقيت، قال تعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(البقرة:٣٣)، تأمّل في القرآن؛ ففيه ما يرشد إلى الحق لتعلم ما فضلت به على سائر المخلوقات. أظنك

hiragate.com

الآن علمت سر وجودك وفضلك على سائر المخلوقات.

قال: نعم. فقالت:

- إنه قبولك الفطري واستعدادك الخلقي لتلقي قانون "اقرأ" الذي يربط بين رسالة السماء وعمارة الأرض، وبين وجود الإنسان وغايته في الكون. ولن تختلف معي يا صديقي بأن "اقرأ" في الإسلام، عقيدة وقانون ونظام وإستراتيجية وسياسة وتشريع واقتصاد وتربية وإصلاح وخلافة ومنهج حياة.. هل تعلم أن الله لولم يُنزل كلمة على هذه الأمة إلا كلمة "اقرأ"، لكفتهم؟ هل علمت أن المسلمين لو عرفوا السر الإلهي في كلمة "اقرأ" -لتكون أول من نزل- لَعلموا أن أول الواجبات الضرورية في الدين التي لا يدخلها تخصيص أو نسخ، هي "اقرأ"، ولانشغلوا بها بدل هذا التمزق الفكري الذي فرَّق الأمة فرقًا وأحزابًا وجعلها في أسفل السافلين خلف الركب الحضاري البشري؟

أتدري يا صديقي أن قاعدة الإسلام وقانون مملكة الرب؛ أنه لا يقبل في حضارته من لا يقرأ، ولا يرضى أن ينتسب إلى أمته من لا يتعلم؟

أما يكفيك يا صديقي أن تقتنع بما قلته؟ فالله لم يعذر بـ"اقرأ" سيد المرسلين حينما خوطب من بيت العزة بنداء "اقرأ" التي خرقت السبع الطباق، فقال ﷺ: "ما أنا بقارئ ثلاث مرات" (رواه البخاري). أظنك فهمت أن مقام النبوة يستدعي الاستجابة لطلب "اقرأ"، وأنه لا يليق بنبي ختم الله به الرسالة واصطفاه ليكون قدوة البشرية أن يتجاهل قانون "اقرأ"، ويتركها في تبليغ رسالته إلى الناس.

هل تعلم يا صديقي أن سر إعجاز القرآن كامن في كلمة "اقرأ"؟ أما تساءلت يومًا عن سر تمكن النبي ﷺ من "اقرأ"؟ فلما قرأ ﷺ حدثت المعجزة، وبها انتقل النبي إلى الناس برسالة العلم والقراءة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾(آل عمران:١٦٤)، وحطم سيد المرسلين ﷺ بـ"اقرأ" صنمًا كان يُعبد إلى جانب أصنام الشرك التي كانت تقدَّم لها القرابين، وهو صنم الجهل والأميَّة، فشرع بذلك الرسول عليه الصلاة والسلام يا صديقي سنَّة كونية من سنن الإسلام وفرائض الدين التي تركها المسلمون وأخذها غيرهم من الأمم وهي سنَّة "اقرأ"، وبسبب تركها كفريضة إلهية في حياتهم، جاء أجل المسلمين قبل أوانه، فاستسلموا لداء الجهل بدل أن ينفروا في سبيل العلم، وخلدوا لأرض الأميَّة عوض أن يرحلوا إلى سماء "اقرأ".

فما دام -يا صديقي- معشر المسلمين لا رغبة لهم في شد الرحلة لأرض "اقرأ"، فسيعذَّبون في هذه الحياة بجهلهم، ويستبدل الله بهم قومًا غيرهم يعرفون قيمة "اقرأ" في حياتهم.

فلْتعلم يا صديقي أن الله ينصر الأمة التي "تقرأ" وإن كانت غير مسلمة، ولا ينصر الأمة التي لا تقرأ وإن كانت مؤمنة؛ لأن "اقرأ" منصورة بك أو بغيرك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(محمد:٧).

لا أريدك يا صديقي أن تقول في يوم من الأيام "لا أقرأ"؛ لأن "اقرأ" سنة نبي الإسلام، وترْكُها من أفظع أنواع الهجر لكلام الله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾(الفرقان:٣٠)، فكل تشريعاته وأحكامه تنبني عليها، وبدونها لا يكون إسلامك معتبرًا وانتماؤك مقبولاً، وهو ما فهمه جيل نزول الوحي والتفوا حول هذه المعجزة الخالدة التي اشتق اسمها من القراءة. والقرآن يا صديقي أنزل ليقرأ ويفهم، قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(هود:١)، ويقرأ ويعمل به قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾(القيامة:١٨)، ويقرأ وينشر نوره في الكون.

أتمنى من الله تعالى أن ينفعك ما أخبرتك به، ويكفي أن تقيد في كتابك وتنقش على سويداء فؤادك أن مفتاح الإسلام هو "اقرأ"، وأنها كلمة لو كان البحر مدادًا لها لنفد البحر قبل أن تنفد كلمة "اقرأ"، ولو أن كل المسلمين اليوم في كفة، و"اقرأ" في كفة، لمالت بهنَّ "اقرأ" ميلاً عظيمًا إلى الارتقاء نحو مدارج الحق ومنازل التقوى ومسالك الرشد. ■

(*) كاتب وباحث / المغرب.

hiragate.com

أ.د. بركات محمد مراد*

الرفض والمعارضة عند الطفل
بين الصحة والمرض

مما لا شك فيه أن الأطفال ليسوا صورًا كربونية مطبوعة من بعضهم البعض، فكل طفل يحتاج إلى أسلوب معين في التربية حتى ينشأ صحيح البدن صحيح النفس، كما يختلف الأطفال عن بعضهم في طاعة الوالدين؛ فهناك الطفل الذي يطيع وهو في كامل الرضا، وهناك الطفل غير المطيع الذي يتبرم لأتفه الأوامر ويرفض كل ما يقال له.. ما الدافع الحقيقي إذن وراء معارضة الأبناء للآباء؟ ما الأسباب التي تؤدي إلى عصيان الأطفال ومعارضتهم المستمرة لكل المطالب؟

١- تكيف الطفل مع مرحلة جديدة

كل الأطفال يستخدمون المعارضة إما ليتكيفوا مع مرحلة جديدة من حياتهم، أو ليكتسبوا استقلاليتهم. وإظهار الطفل معارضته شيء ضروري، فالمعارضة هي انعكاس لمرحلة جديدة من حياة الطفل، وبالتالي يعاني الأهل بشكل دائم أشكالاً من المعارضة تستمر عمومًا حتى استقلالية الابن وتركه المنزل الأسري.

وقد تكون هذه المعارضة عبارة عن موقف رفض عام؛ حيث تتواتر الصراعات بشكل يومي، وتتعدد مواضيعها وتتنوع. يمكن التمييز هنا بين شكلين من الرفض؛ الرفض الناشط والرفض السلبي العدائي، وهما غير متماثلين من حيث الدلالة أو من حيث المظاهر أو النتائج، أي ما ينجم عنهما من انعكاسات.

أ- الرفض الناشط: هو الذي يتم التعبير عنه بـ"لا" واضحة؛ ببكاء أو غضب، أو عدوانية لفظية.. ومن مظاهره الأكثر توترًا، نذكر رفض الأوامر والتعليمات، ورفض القيام بالفروض والواجبات، والتعبير عن مظاهر غضب مع حركات عنيفة، والقيام بسلوكيات ظاهرة خارجيًا.. وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم الرافضين الناشطين لا يذهبون بعيدًا من حيث المشاكسة والصراع، فهم غالبًا أطفال يجادلون، ويجب المجادلة معهم ليقوموا بتنفيذ ما يُطلب منهم، وتعتبر بعض مراحل الطفولة مولدة لهذا النوع من الرفض.

ب- الرفض السلبي العدائي: هنا يقول الشخص "نعم" بهز الرأس و"لا" بالقلب. فالرافضون السلبيون عدائيون، يتجنبون الوضعيات غير السارة دون الدخول في صراع رسمي، فهم دائمو الموافقة لكنهم يتدبرون أمرهم ليفعلوا ما قرروا فعله في البيت، يقولون بأنهم يملُّون يضجرون ومع ذلك، لا يمكن التحدث معهم إن كانوا يشاهدون التلفاز -مثلاً- مع رفاقهم، يندمجون مع رفاقهم في مرحلة أولى، لأنهم دائمو الموافقة على ما يقال.. وقد يَعِدُون -مثلاً- بقرض أشيائهم لرفقائهم، وإن لم يكونوا يريدون ذلك فإنهم يستنبطون الأكاذيب لتبرير عدم جلبهم لذاك الشيء، وأكاذيبهم هذه سرعان ما تؤدي -في مرحلة ثانية- لرفض الرفاق لهم، حيث تكون ردة فعل هؤلاء قوية بمقدار ما كان تقديرهم الأول قويًا.. وفي فضاء التعليم يعاني هؤلاء -عمومًا- إخفاقًا مدرسيًا من تدن في احترام الذات، لكنهم لا يفعلون شيئًا لتغيير موقفهم.

٢- السلطة والإسراف في استخدامها

هناك مجموعة من الأسباب الأخرى تؤدي إلى الغضب والرفض عند الأطفال وهي:

• سوء استعمال السلطة قد يكون السبب الرئيس لبعض مظاهر العصيان الحاد، وقد يحدث هذا إذا كان الوالدان على غير اتفاق بصدد نوع التعليم الذي يجب أن يتعلمه الطفل، أو إذا كان بينهما نوع من الشقاق العاطفي.. وبذلك يضطرب الأطفال وتتبلبل أذهانهم، فيحاولون وسط هذا الخضم أن يحققوا -في أنفسهم- الوسيط العادل بين أفكار الأب والأم المتعارضة، ولكنهم في النهاية لا يفلحون إلا في الميل إلى تنفيذ ما يرغبون ويحبون، وبذلك لا يطيعون أي سلطة تفرض عليهم.

• اتصاف بعض الآباء بالضعف وعدم التصميم والحزم على طاعة الأوامر رغم ما يبدو عليهم ظاهريًا من مظاهر القوة والصرامة، على الرغم من أن الشخص ذو السيطرة والسلطة الحقيقية، ليس بحاجة إلى هذه الحركات الظاهرية ليملي إرادته على الآخرين.

• تقنين حرية الأطفال وعدم منحهم أوقاتًا ينطلقون فيها على سجيتهم، وينفسون عن طاقاتهم باللعب أو الرياضة أو بالترفيه الحسن.

• استمرار السلطة المطلقة التي فرضت على الأطفال في سنواتهم الأولى، وعدم تحولها إلى لون من ألوان النصح متى كبروا وبصورة ترشدهم وتساعدهم على المضي في طريق النجاح والنضج والاكتمال.. ولا شك أن الإسراف في استخدام هذه السلطة التعسفية، يعقِّد نفسية الطفل ويعوق نشاطه وحيويته، فيلجأ الطفل إلى معارضة هذه السلطة ويعاندها، ويلبس ثوب التمرد والعصيان من أجل العصيان وليس من أجل شيء آخر ولو كان عصيان تلك الأوامر سيؤثر على مستقبله، بل نراه يفضل الفشل على طاعة الأوامر التي تصدر من قبل الأب والأم.

• وجود الغيرة، إذ ليس هناك أكثر شقاء وتعاسة من الطفل الغيور؛ فهو يشعر بأنه أخفق في الحصول على الرعاية والحماية من شخص مولع به ولعًا شديدًا، لذا

hiragate.com

hiragate.com

فهو يختزن أحزانه ويبالغ فيها حتى يشعر بأن الدنيا كلها تعمل ضده.

فالغيرة إحدى المشاعر الطبيعية عند الطفل، ويجب أن تتقبلها الأسرة كصفة واقعية، ولا تسمح في الوقت نفسه بنموها. فالقليل من الغيرة يفيد الطفل، والغيرة المفرطة تثير عند الطفل الحقد والحسد. وهي من أهم العوامل التي تؤدي إلى ضعف ثقة الطفل بنفسه، أو إلى نزوعه للعدوان والتخريب. وما السلوك العدواني والأنانية والارتباك والانزواء والتبول اللاإرادي، إلا أثر من آثار الغيرة على سلوك الأطفال. وقد تصل الغيرة إلى حد التحطيم والحزن، وأحيانًا إلى الاكتئاب، بل تؤثر عليه في المستقبل فيكون دائم الخلاف مع محيطه ومجتمعه.

ولا يخلو تصرف أي طفل من إظهار الغيرة بين الحين والآخر، وهذا لا يسبب إشكالاً إذا فهمنا موقف الطفل وعالجناه علاجًا سليمًا. أما إذا أصبحت الغيرة عادة من عادات السلوك تظهر بصورة مستمرة، فإنها تصبح مشكلة ولا سيما حين يكون التعبير عنها بطرق متعددة.

ويؤكد التربويون أن الغيرة في الطفولة المبكرة تعتبر شيئًا طبيعيًا؛ حيث يتصف صغار الأطفال بالأنانية وحب التملك وحب الظهور لرغبتهم في إشباع حاجاتهم، دون مبالاة بغيرهم أو بالظروف الخارجية. وقمة الشعور بالغيرة تحدث فيما بين ٣-٤ سنوات، وتكثر نسبتها عند البنات عنها عند البنين، وتزداد أيضًا في الأسر الصغيرة التي يكون التركيز فيها على الطفل من ناحية الوالدين، كما تقل الغيرة إذا زاد الفارق الزمني بين الطفل وأخيه أو أخته.

ما هي أهم أسباب الغيرة؟

للغيرة أسباب كثيرة أخرى، وعلى رأسها التفاوت الشديد في المعاملة بين الطفل وإخوته، والمقارنة الهدامة بين طفل وآخر سواء كان بالصراحة أو بالسلوك. فالمقارنة الخاطئة بين قدرات الطفل وقدرات إخوته، تثير فيه الإحساس بالنقص والعجز وعدم الثقة لدرجة قد تصيبه بمشاعر الإحباط والشعور بالنقص، وخصوصًا إذا كانت جوانب النقص هذه ترجع إلى عيوب جسمية أو عقلية، إضافة إلى الحرمان من العطف والحنان من الوالدين إلى الأبناء.

إذا أردنا أن نربي أبناءنا بالطريقة الصحيحة، علينا أن نبعدهم عن الجبن والخور، ونؤصل فيهم معرفة الخطأ من الصواب، وننمي لديهم حرية التفكير والتوصل إلى أهدى السلوك وأصوبه.

وتزداد غيرة الطفل عادة إذا ولد طفل جديد يستأثر بعناية الوالدين واهتمامهما، كما يشكل موضوع الاستهزاء بالطفل مسألة خطيرة وتؤدي إلى شعوره بالإذلال؛ فالأب الذي يستقبل ابنه عند عودته من المدرسة باستهزاء، لا يدرك الأثر النفسي الذي قد يتركه في نفس الطفل. وبالنسبة لمثل هؤلاء الآباء، دائمًا يجدون المناسبة لممازحة أطفالهم بأساليب غير تربوية، تحدث ردود أفعال غاضبة من قبل أطفالهم، وتجعل أجواء العلاقات الأسرية متوترة ومشحونة.

ويشدد خبراء التربية على جانب مهم، وهو أن الأطفال لا يحبذون الاستهزاء بأفعالهم وممازحتهم بأسلوب منفر حتى لو بعث أسلوب الممازحة هذا على ظهور الابتسامة على شفتي الطفل، وإذا أثارت الممازحة الضحك لدى الطفل، فإن ذلك من باب لفت الاهتمام به وشد أنظار الآخرين نحوه. فعبارات الممازحة المنفرة وعبارات الاستهزاء، لا تسهم في النمو السليم المتوازن للطفل من الناحتين النفسية والاجتماعية، بل تقود إلى تجريد الطفل من الإحساس القوي بثقته بنفسه، ذلك أن الطفل الصغير لا يميز بين المزاح والجدية، كما أن أسلوب الاستهزاء قد يؤدي إلى شعور بالإذلال والإهانة النفسية، ولا سيما إذا تمت ممارسة هذا الأسلوب أمام أقرانه. ويخطئ بعض المدرسين حين يقرؤون بصوت عال في الفصل أخطاء الطفل المنهجية وعيوب إنجاز واجبات المدرسة، مما يثير الضحك لدى أقرانه، فيحدث لديه صدمة نفسية، قد لا يستطيع التخلص منها إذا ما استمر الحال على هذا النحو.

كيف يتخلَّص الطفل من الغيرة؟

دائمًا بيّن للطفل الصغير الذي يفهم الكلام سبب رفضك

hiragate.com

لفعله؛ فقل مثلاً: لا تلمس الموقد لأنه سيحرقك. لا تفتح النافذة وإلا دخل الذباب.. وهكذا تتكون شخصيته بشكل سوي منطقي يربط السبب بالنتيجة، ويتعود على الطاعة المبصرة وليس على التبعية العمياء، كما أن في بيانك للسبب، إرضاء له بأنك لست متسلطًا. ولا تنس أنْ تقدِّم له البديل عمَّا تمنعه عنه؛ مثلاً، إذا أردتَ أن تعلِّمه احترام الملكية ومن أجل ذلك لم تسمح له بتصفح كتاب هام لك، يجب أن تمنحه قصة وتقول "هذه لك".. وهكذا تنشأ شخصية مستقلة مدركة لحقوقه وحقوق الآخرين.

يؤكد علماء التربية على أن من الخطأ أن نقول للطفل "لا" عندما تكون رغباته سهلة التحقيق، فإذا أنهى واجباته المدرسية فيجب ألا يُمنع من اللعب، أما إذا لم ينته منها فيمنع مع إيضاح سبب الرفض بأن عليه إنهاء واجباته أولاً، إلا إذا كانت كثيرة فلا مانع من الفواصل المنشّطة بحسب عمر الطفل وحاجاته وقدراته.

التنشئة على الثقة بالنفس

بقي أمر أخير، وهو وجوب تنشئة الأطفال على الثقة بالنفس والجرأة في الحق بأن نعلمهم أن من حقهم قول "لا"، لئلَّا يتعوَّدوا الطاعة العمياء وطأطأة الرأس وتقبيل الأيدي. ولنذكر مثالاً واحدًا من حياة الرسول ﷺ على جرأة أولاد الصحابة في قول "لا"، والاحتفاظ بالحق حتى لو كان مَن يطلب هو الرسول نفسه ﷺ: "أُتي رسول الله ﷺ بشرابٍ فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أَشياخٌ، فقال للغلام: "أتأذن لي أن أُعطي هؤلاء؟"، فقال الغلام: لا والله لا أُوثر بنصيبي منك أحدًا. (وراه مسلم)

وعامة لكل طفل قدرات عقلية تختلف عن أقرانه، فهذا يستقبل الأوامر فينفذها على الفور حتى ولو كانت خاطئة، وآخر يناقش ويجادل ويمكن أن يتردد في تنفيذ أمر أو يرفضه.. ونحن كأولياء أمور ومربين، ينبغي أن نحاسب الطفل بقدر فلا نعاقبه أو ننهره إذا امتنع عن تنفيذ بعض أوامرنا.. فخيال الطفل يسبح وفكره قد يجره إلى تساؤل ما، أو خوف من طاعة أمر ما، فلا نهمل ذلك أبدًا، بل نقدره ونحسب له حسابه، أما إذا صدرت الأوامر إلى الطفل بفعل شيء ينافي الخلق القويم، فرفض ذلك فإننا نستحسن ذلك ونشجعه، بل ونكافئه على رفضه هذا.

ومن الجدير بالذكر أن الطفل قد يكون محقًّا في اعتراضه ومناقشته لما يصدر من بعض الأوامر، وهذا يؤصل في الطفل المعنى الحقيقي للحرية وينمي ويقوي شخصيته، ويجعله يحسن التفكير في ما يقول ويعمل.. وهذه المناقشة أو هذا الرفض لا ينبغي أن يكون على إطلاقه، بمعنى أننا لا نسكت على رفض الطفل أو عناده في تنفيذ وطاعة الأوامر التي فيها مصلحته الأكيدة، التي يترتب علي رفضها ضرر محقق للطفل، كأمره بعدم العبث في الأجهزة الكهربائية، وكمنعه من الذهاب إلى مكان ما، عندها يلام الطفل ويؤنب ويعاقب إذا رفض طاعة مثل تلك الأوامر.

إذا أردنا أن نربي أبناءنا بالطريقة الصحيحة، علينا أن نبعدهم عن الجبن والخور، ونؤصل فيهم معرفة الخطأ من الصواب، وننمي لديهم حرية التفكير والتوصل إلى أهدى السلوك وأصوبه.. كما أن علينا علاج أسباب الغيرة التي تنشأ لدى الطفل وتدفعه إلى السلوك العدواني أو العصيان والرفض، وهذا يتحقق بممارسة العدالة في الحب والمعاملة، فلا نظهر رعاية لأحد الأبناء على حساب الآخر، وإشعار الطفل بقيمته ومكانته في الأسرة والمدرسة وبين الزملاء، وتعويد الطفل على أن يشارك غيره في حب الآخرين، وبعث الثقة بنفس الطفل وتخفيف حدة شعوره بالنقص أو العجز، وجعل العلاقات القائمة أساس المساواة والعدل بين أفراد الأسرة دون تمييز أو تفضيل على آخر مهما كان جنسه أو سنه أو قدراته، وتعويد الطفل على تقبل التفوق وتقبل الهزيمة، بحيث يعمل على تحقيق النجاح ببذل الجهد المناسب دون غيرة من تفوق الآخرين عليه بالصورة التي تدفعه لفقد الثقة بنفسه.

على الآباء إذن، معرفة أن لكل طفل شخصية مستقلة لها مزاياها واستعداداتها الخاصة بها، كما يجب المساواة في التعامل بين الابن والابنة، لأن التفرقة تثير الغيرة وتؤدي إلى الشعور بكراهية البنات للجنس الآخر في المستقبل. ■

(*) رئيس قسم الفلسفة والاجتماع، كلية التربية، جامعة عين شمس / مصر.

hiragate.com

أ.د. أحمد مليجي*

اِربطْ كل شؤونك بمرضاة الله، اِضبطْ بوصلة قلبك في اتجاه رضاه؛ تستقم أمورك، وتنج من مخاطر النقم المبطَّنَة في النعم.

الموازين

الإنسان بين النعم والنقم

يتقلب الإنسان في نعم الله ليل نهار، ولا يعرف حقّها لدوامها وكثرتها. والنعم لا تُعرف إلا بفقدانها؛ فالحلو لا تُعرف قيمته إلا لمن ذاق المر، والنهار لا تُعرف قيمته إلا إذا جنَّ الليل.. وبالضد تتميز الأشياء. وإذا أردت أن تعرف مقدار النعمة فانظر إلى ما يقابلها من سلب هذه النعمة. ومما لا شك فيه أن الإنسان لا يستطيع أن يحصي مقدار نعمة واحدة فقط، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(النحل:١٨).

ولعل من الأهمية بمكان، أن نتوقف عند الآية الثامنة والخمسين من سورة الأعراف، لنتفكر في كيفية تحول نعمة الله على الإنسان؛ فنجد أن النباتات التي كانت تخرج طيبة بهيجة -بإذن الله- في وسط بيئي طيب ومناسب، قد تحولت وتبدلت إلى نباتات نكدة، تخرج في وسط خبيث وفي بلد خبيث، قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾(الأعراف:٥٨)؛ تشير الآية الكريمة إلى أن البلد الطيب يرزقه الله ﷻ الخيرات والبركات، وذلك لأن

أهل هذا البلد مؤمنون بالله، ولذلك كان حقًّا على الله ﷻ أن يفتح عليهم البركات من السماء والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف:٩٦).

ولقد حرص الإسلام حرصًا شديدًا على الاهتمام بحماية البيئة من خلال سَنّ تشريعات مختلفة، بعضها جاء بالقرآن الكريم، وبعضها ورد بأحاديث النبي ﷺ أو خلفائه، وذلك من أجل أن يستمتع الإنسان بفوائد البيئة الجليلة ومناظرها الجميلة وثمارها اليانعة. ولقد نَظَّم الإسلام العلاقة بين الفرد والجماعة، فالفرد لا يمكن أن يكون بمعزل عن الآخرين إنما هو جزء من كل، إنه مسؤول عن نفسه ومجتمعه الإنساني، ثم إن من مقتضى المسؤولية التنبيه، وإنَّ تدهوُر النظام البيئي يهدد البشرية جمعاء، سواء الذين ساهموا في أذيَّة البيئة أو الذين لم يساهموا، يقول رسول الله ﷺ: "مَثَل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على مَن فوقهم، فقالوا لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا" (رواه البخاري).

مصل الدواء

يتضح مما سبق، أن أسرع الحلول التي يمكن أن أُقدمها لخبث الوسط البيئي -كمصل دواء لدول العالم بصفة عامة ولدول العالم العربي والإسلامي بصفة خاصة- هي المتمثلة في إحياء الحس البيئي الإسلامي. وإذا كانت الحضارة الحديثة قد ولّدت هذا التلوث البيئي دون التفكر في كيفية معالجته، فإن الإسلام حقًّا قد وضع قوانينه قبل أن ينتشر بهذا الحجم الذي نراه اليوم. ولقد حبانا الله ﷻ بنعمة الإسلام، فشرع الأحكام المختلفة التي تجعل المسلم يسمو بأخلاقه. فالمؤمن صادق عادل وغير معتد، يتوخى الله في كل عمل، فلا يلوث ماء ولا يستنزف موردًا، أو يقتل حيوانًا دون سبب أو غاية، هذا الإنسان الذي نشأ وترعرع في أحضان الإسلام يحمي الأرض ولا يخربها، يعمرها ولا يهدمها، يستصلحها ولا يهملها، ومن هنا تظهر حقًّا طرق العلاج الحقيقي، ومصل الدواء الضروري لحياة بني البشر. وهذا المصل اللازم لعلاج فساد الوسط البيئي، أجمله فيما يلي:

• أن نتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها حتى يستمر الوجود.

• أن يتصرف كل إنسان مع الوسط البيئي الذي يعيش فيه بمقدار حاجته دون إسراف أو تخريب، أي بالمقدار الذي لا ينهكه ولا يتلفه.

• عدم الإسراف في المياه واستخدامها بقدر الحاجة، وذلك يتطلب منهجًا رشيدًا في استعمالها والانتفاع بها كما حث الله ﷻ، وكما نهى النبي ﷺ عن التبذير في استعمال الماء والإسراف فيه مما يؤدي إلى استنزافه ونضوبه. ولا شك أن التوجيهات النبوية في هذا الصدد، تشكل أساسًا متينًا لمعالجة مشكلة من أهم المشكلات البيئية، ألا وهي مشكلة ندرة المياه العذبة، وهي مشكلة قد تؤدي إلى كثير من الصراعات الدولية والإقليمية في هذا القرن كما يتوقع ذلك خبراء البيئة.

• رعاية البيئة النباتية والمحافظة على البقعة الزراعية، وعدم تجريف الأراضي الخضراء من أجل مكسب مادي سريع.

• مراعاة وحفظ البيئة الحيوانية، فالسُّنَّة النبوية أكدت على مراعاة الرحمة بالحيوان، ولقد وعد النبي ﷺ من رعى الحيوان بنوع من أنواع الرعاية -ولو أن يسقيه شربة ماء- بالمغفرة ودخول الجنة، ويدل على ذلك ما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا، فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال لقد بلغ بهذا الكلب مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له". قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجرًا، فقال ﷺ: "في كل كبد رطبة أجر" (رواه مسلم)؛ والكبد الرطبة هي كل ما له روح، ذلك أن الكبد لا تكون رطبة إلا وصاحبها حي، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم بأن كل الدواب أو الطيور لا بد أن نتعامل معها من منطلق أنها أمم أمثالنا، يقول الله ﷻ:

hiragate.com

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(الأنعام:٣٨).

ولقد نهى الإسلام عن قتل الحيوان لغير منفعة، فلقد روى أن النبي ﷺ قال: "من قتل عصفورًا عبثًا عج إلى الله يوم القيامة يقول يا رب إن فلانًا قتلني عبثًا ولم يقتلني منفعة" (رواه أحمد)، كما جاء في وصية أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد ﷺ، عندما وجهه إلى الشام فقال له: "ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة". ويتضح من تلك الوصية دعوة الإسلام للحفاظ على الحياة البرية، وعلى عظمة الإسلام وسموه ورقيه في حماية البيئة والطبيعة.

• أن نشكر الله دائمًا على أنه حبانا نعمة الوسط البيئي الطيب، فلا بد أن نشكره ﷻ عليها ليل نهار. وشكر النعم بالقلب واللسان والعمل؛ أما شكرها بالقلب أن يستشعر الإنسان بقلبه عظمة الخالق وكرمه وامتنانه، فيخشع وينكسر ويشعر بضعفه وفقره، وأما شكرها باللسان فهو أن يكثر من ذكر الله ليلاً ونهارًا، حمدًا وتكبيرًا. عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة، ويُجْزِئ من ذلك ركعتان يَركعُهما من الضحى" (رواه مسلم). وأما شكرها بالعمل فهو أن تؤدي زكاة هذه النعم حيث تصرفها وتوجهها إلى ما أمرك الله به، وتبعدها عما حرمه الله عليك. ولقد فطن سيدنا عمر بن عبد العزيز إلى أهمية الشكر على نعم الله حتى لا تزول فكانت وصيته: قيدوا النِعَم بشكر الله ﷻ، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(إبراهيم:٧).

كما ينبغي رفع مستوى الوعي البيئي لدى الأطفال والشباب عن طريق إدخال أهمية حماية الوسط البيئي ضمن برامج التعليم في المدارس والجامعات، واستخدام أجهزة الإعلام لتفادي مخاطر الجهل بأهمية الحفاظ على الوسط البيئي -كما خلقه الله ﷻ- ومواجهة حالات التلوث.

• يجب الحد من تلوث الهواء واختيار أنواع من الوقود خالية من المواد الملوِّثة، واستخدام مرشحات "فلاتر" مناسبة تمنع خروج الأدخنة الملوثة من المصانع لتسقط على الزرع أو يستنشقها الإنسان، كما ينبغي البحث عن مصادر جديدة للطاقة قليلة التلوث، ومراقبة السيارات التي تنبعث منها نسبة غازات ملوثة لنعمة الوسط الطيب.

• يجب إعداد المتخصصين في مجال الدراسات البيئية، لعمل دراسات الجدوى لجميع المشروعات المراد إقامتها من أجل اتخاذ القرارات المستقبلية لمصلحة الأجيال.

• تحسين طرق معالجة مصادر المياه الملوثة من الصرف والري والمصانع، لتجنب مشكلة خبث الوسط البيئي.

• إن خير وسيلة لحماية الغذاء من التلوث هي منع حدوثه، وذلك باتباع القواعد العامة لنظافته ووقايته من تأثير البكتريا والفيروسات والطفيليات، ومراعاة الأمانة ومراقبة الله في إعداده وطهيه وتصنيعه وبيعه وحفظه وتخزينه.

• يجب المحافظة على الموارد المائية، لأنها تؤثر تأثيرًا بالغًا على الوسط البيئي ونوعية النباتات. ولقد أوجب الإسلام على الإنسان المحافظة على المياه التي أنزلها الله ﷻ طاهرة ومطهرة ونقية، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾(الفرقان:٤٨). والحقيقة أن المحافظة على الماء هو أساس المحافظة على الحياة بجميع أشكالها، وقد جاءت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ في المحافظة على المياه والنهي عن إفساده وتلويثه. ومنها ما جاء عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال في الماء الجاري (رواه الطبراني)، كما منع الإسلام تلويث الماء الراكد أو الجاري حتى من

المؤمن صادق عادل وغير معتد، يتوخى الله في كل عمل، فلا يلوث ماء ولا يستنزف موردًا، أو يقتل حيوانًا دون سبب أو غاية، هذا الإنسان الذي نشأ وترعرع في أحضان الإسلام يحمي الأرض ولا يخربها، يعمرها ولا يهدمها، يستصلحها ولا يهملها.

hiragate.com

قبل الأفراد، فقد نهى النبي ﷺ أن يُبال في الماء الراكد (رواه مسلم). ومن هنا يتضح أن النبي ﷺ نهى الأفراد عن التبول في الماء منعًا للتلوث الحاصل منه، فيدخل في هذا النهي من باب أولى كافة أوجه تلويث الماء، ومنها -على سبيل المثال- مخلفات الصرف الصحي ومخلفات المصانع الكيماوية وغيرها، وهو الأمر الذي يُخلُّ بالتوازن البيئي في المياه، مسببًا أضرارًا خطيرة على المحتوى الحيوي.

خلاصة القول

إن هذه الآيات العظيمة والأحاديث النبوية الشريفة، هي دعوة صريحة تربي فينا السلوكيات البيئية الإيجابية نحو الاهتمام بزيادة المساحات الخضراء في كل مكان، ولقد جاءت القاعدة الفقهية الإسلامية تؤكد عظمة الإسلام، بل وتسابق دول الغرب فيما تدعو إليه في هذه الأيام فتقول: "درء المفسدة مقدَّم على جلب المنفعة"؛ بمعنى أن منع الضرر والفساد مقدَّم على أي منفعة عند استغلال البيئة، وهذا ما بدأ العالم الغربي يدركه مؤخرًا في السبعينات كوسيلة مهمة لحماية البيئة وصيانتها عندما طرح فكرة تقويم المردود البيئي؛ فإذا تبيَّن أن أي مشروع له تأثير ضار أو مفسد بعناصر البيئة، يتم تعديله لتفادي هذا الضرر أو هذه المفسدة، ومعنى هذا أن فكرة تقويم المردود البيئي، تعكس مفهوم القاعدة الفقهية الإسلامية "درء المفسدة مقدَّم على جلب المنفعة".

وإذا كانت الحضارة الحديثة قد ولدت هذا التلوث البيئي دون التفكر في كيفية معالجته، فإن الإسلام قد وضع قوانينه قبل أن ينتشر بهذا الحجم الذي نراه اليوم -كما ذكرنا آنفًا- وطالب الإنسان بأن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(الأعراف:٥٦).

ومن ثم جاءت العقوبة العادلة الإصلاحية من الله ﷻ إذا تمادينا في الفساد، وذلك لعلنا نفيق عما نحن فيه، فيقول الحق ﷻ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الروم:٤١).

ومن ثم يأتي مصل الدواء بالعودة إلى الله ﷻ وإظهار الحضور البيئي الإسلامي الذي يجب أن يحكم سلوكياتنا تجاه بيئتنا، فإذا عدنا إلى الله عادت إلينا كل النعم التي سُلبت منا، واستمتعنا مرة أخرى بنعمة الوسط البيئي الطيب بنباتاته الطيبة الخالية من السموم والأوجاع، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الروم:٤١). ■

(*) رئيس قسم العلوم الجيولوجية بالمركز القومي للبحوث، القاهرة / مصر.

المراجع

(١) الاتزان البيئي بين العلم والإيمان، للدكتور أحمد عبد العزيز مليجي، تحت الطبع، ١٤٢٨هـ.

(٢) تلوث بيئة البحر الأحمر، للدكتور أحمد عبد القادر المهندس، جريدة الرياض، العدد:١٣٩٢٧، ١٤٢٧هـ.

(٣) الكيمياء البيئية للأراضي، للدكتور السيد أحمد الخطيب، منشأة المعارف بالإسكندرية للنشر، ص:٤٥٤، ١٩٩٨م.

(٤) مشكلة التصحر، للدكتور حسن عبد القادر صالح، مجلة الريم، العدد:٦ (تشرين الثاني)، ص:٢، عمان ١٩٨١م.

(٥) التسمم الغذائي والملوثات الكيميائية، للدكتور زيدان هندي عبد الحميد، الدار العربية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

(٦) الإسلام أهدافه وحقائقه، للدكتور سيد حسين نصر، الشركة المتحدة، ص:٣٣، بيروت.

(٧) الأخلاق في الإسلام، للدكتور عبد اللطيف العبد، الطبعة الأولى، ص:١٢.

(٨) الإسراف في الأسمدة والمبيدات وعلاقته بارتفاع نسبة السموم في الخضر والفواكه، للدكتور عبد المنعم مصطفى مصطفى، مجلة البيئة، العدد:٥٧ (إبريل ١٩٨٧).

(٩) أهمية التنوع الإحيائي النباتي في البيئة، للدكتور عبد البديع حمزة زللي، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، موقع الهيئة.

(١٠) سموم البيئة (أخطار تلوث الهواء والماء والغذاء)، للدكتور عز الدين المنشاري، والدكتور الصادق أحمد طه، دار المريخ للنشر ١٩٩٤م.

(١١) التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي، للدكتور محمد السيد عبد السلام، ص:٥، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٢م.

(١٢) الطاقة ومصادرها، للدكتور محمد علي الفرا، ص:٢٥، الكويت ١٩٧٥م.

(١٣) قواعد الجيولوجيا العامة و التطبيقية، للدكتور محمد إبراهيم فارس، والدكتور محمد يوسف حسن، والدكتور مراد إبراهيم يوسف، ١٩٧٢م.

(١٤) دليل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي للإدارة والبيئة والتنمية القابلة للاستمرار، ١٩٩٢م.

hiragate.com

قادر فيرتينا*

العواصف العملاقة

إذا سبق لشخصٍ أنْ رأى إعصارًا أو زوبعة أو عاصفةً في بلد من البلدان أو منطقة من مناطق الكرة الأرضية، فإنه -إذن- يعرف مدى شدتها وخطورتها على الأرض، ومدى التخريبات التي يمكن أن تُحدثها فيها. ولكن هل تعلم -عزيزي القارئ- أن هذه العواصف لا تساوي شيئًا عند العواصف التي تحدث في الكواكب الأخرى في النظام الشمسي.

لا بد أن نذكر بدايةً أن أسرع الرياح في النظام الشمسي وأشدها، هي التي تحدث في كوكب نبتون؛ حيث تصل هذه السرعة إلى ٢٤٠٠ كم في الساعة الواحدة.

وإذا ألقينا نظرة سريعة على الكواكب في نظامنا الشمسي، نرى أن فيها عواصف وأعاصير تهبُّ كما في كرتنا الأرضية، ولكنها أقوى وأشد بملايين المرات. أما بالنسبة للإعصار الذي يبلغ حجمه أكبر من حجم الأرض؛ فهو إعصار البقعة الحمراء لعملاق الغازات كوكبِ المشتري، وهو كوكب أكبر بمعدل ١٣٠٠ مرة من كوكب الأرض، حيث تكون تلك الأعاصير عنيفة جدًّا؛ وقد اكتشف العلماء أن معدل دوران هذا الكوكب -ومدار اليوم فيه حوالي ١٠ ساعات فقط- يؤدي إلى ظهور

صورة لكوكب المشتري تُظهر عواصف بيضاوية وقعت على سطحه. والتقطت ناسا هذه الصورة في ١١ ديسمبر ٢٠١٦.

مناطق غازات متحركة، وتيارات هواء نفاثة من الشرق إلى الغرب، كما أن تيارات الهواء في هذه النطاقات، تلتف حول الكوكب مثل الأحزمة الملونة، وتتحرك في اتجاهين متعاكسين بسرعة تبلغ ٦٠٠ كم في الساعة، إذ يؤدي اصطدام هذه النطاقات السحابية الأفقية، إلى عواصف عملاقة جدًّا. هذا وتعد العاصفة العملاقة الأكثر شهرة على كوكب المشتري هي "البقعة الحمراء العظيمة"، كما أن هذا الإعصار المضاد العملاق هو أكبر بثلاث أضعاف من حجم الكرة الأرضية، وهو يدور عكس اتجاه عقارب الساعة، وكان موجودًا منذ ٣٤٠ عامًا.

وبما أن كوكب المشتري يتألف من الغاز فقط، فهو لا يحتوي على تضاريس طبيعية، ولذلك فالعاصفة لا تجد مكانًا تفرّغ فيه طاقتها. وبالتالي تصل سرعة الرياح حول البقعة الحمراء العظيمة -التي تبدو وكأنها عين بيضاوية حمراء- إلى ٤٠٠ كم في الساعة. ولا يزال الأمر غامضًا حول كيفية وصول البقعة الحمراء العظيمة إلى هذا الحجم العملاق.

وثمة نظريات متعددة في هذا الصدد؛ ترى إحداها أن هذه العاصفة العملاقة، تغذيها طاقة حرارية داخلية تمتصّ كل العواصف الأخرى التي تصادفها؛ ومع ارتفاع الغازات الساخنة التي تشكل الغلاف الجوي لكوكب المشتري -من مستويات أقل إلى مستويات أعلى- تتشكل الدوامات وتتلاقى، ونتيجة سقوط الغاز البارد مرة أخرى على سطح الكوكب، تظهر دوامات تظل مدة طويلة، وذلك لعدم وجود سطح صلب يتيح الاحتكاك. وسرعان ما تنضمُّ العديد من الدوامات المتجاورة وتتحد مع البقعة، مما يضيف إلى طاقة العاصفة ويسهم في طول مدتها أكثر فأكثر.

وعليه، فقد أشار العلماء إلى أن البقعة الحمراء العظيمة بدأت تتقلص؛ فبينما كانت البقعة تبلغ حوالي ٤١,٠٠٠ كم اتساعًا في القرن الثامن عشر، فقد تقلصت إلى ٢٣,٣٠٠ كم في عام ١٩٧٩ وفقًا لقياسات المسبار الفضائي فوياجر ١ و٢. كما تفيد قياسات تلسكوب هابل الأخيرة، بأن حجم العاصفة هو ١٦,٥٠٠ كم من حيث الاتساع. وثمة عاصفة ضخمة أخرى -قطرها يوازي كوكب الأرض- لوحظت تحت البقعة الحمراء العظيمة. هذا وتصل سرعة الرياح إلى ضعف سرعة الصوت أثناء الأعاصير والعواصف، وتكون قوية على الأرض إلى درجة أنها تقتلع المباني من مكانها.

ولكن إذا قسنا عواصف الأرض على كوكب نبتون -أسرع الكواكب رياحًا في النظام الشمسي- فسنرى أنها صغيرة جدًّا؛ لأن الرياح على كوكب نبتون تصل إلى سرعة ٢٤٠٠ كم في الساعة الواحدة، ويبلغ ذلك ضعف سرعة الصوت بـ١٢٣٥,٥ كم في الساعة. ويعتقد علماء الفلك أن الأحوال الجوية المتجمدة قد تؤدي إلى الرياح القوية على كوكب نبتون، وحاله في ذلك حال كوكب المشتري؛ حيث لا يوجد فيه احتكاك لإبطاء التيارات في الأسفل على الرغم من أن المتسبب هنا هو كوكب متجمد وليس كوكبًا غازيًّا؛ وتكون أسرع التيارات النفاثة ظاهرة مثل البقع الداكنة، وأهمها، البقعة المظلمة العظيمة التي تقع في نصف الكرة الجنوبي، والبقعة المظلمة الصغيرة التي كانت جنوب البقعة المظلمة العظيمة.

هذا وكانت البقعة المظلمة العظيمة، عاصفة ارتفاع جوي تم اكتشافها لأول مرة من قبل مسبار فوياجر ٢ عام ١٩٨٩، وكانت بنفس حجم كوكب الأرض، وبالتالي كانت باردة جدًّا ومظلمة. وكان هناك سحب رقيقة حريرية حول البقعة مكوَّنة من بلورات الميثان المجمدة.

hiragate.com

ومـع ذلـك لم يتـم ملاحظة البقعة المظلمـة العظيمة من قبل تلسـكوب هابـل الفضائي عـام ١٩٩٤. كانت البقعة المظلمة الصغيرة -وتسـمى أيضًا عين السـاحر- عاصفة أعاصيـر جنوبيـة، ولقد تم رؤيتها من قبل مسبار فوياجر ٢، ولكن في المرة الأخرى عندما رصد تلسكوب هابل كوكـب نبتـون عـام ١٩٩٤، كانـت العاصفة قـد اختفت. وبـدلاً مـن هاتيـن العاصفتيـن، تم اكتشـاف بقعـة مظلمة جديدة في النصف الشمالي للكوكب.

وفـي عـام ٢٠٠٩ تـم رصـد العاصفـة العملاقـة على كوكـب زحـل عـن قُـرب، بفضـل المركبـة الفضائيـة "كاسـيني" التابعـة لوكالـة ناسـا الفضائيـة؛ ونتيجـة لهـذه الدراسـات تبيـن أن العاصفـة العملاقة موجـودة منذ ٣٠ عامًا، ولها رياح تبلـغ سرعتها ٤٨٠ كم في الساعة.

والجدير بالذكر أن هذه العاصفة -التي يبلـغ عرضها ٢٤٠٠ كـم تقريبًـا- لا تـزال فعَّالـة. وبصـرف النظـر عـن هذه العاصفة، فهناك أيضًا سـحب سـريعة وصغيرة نسبيًّا تسـمى "الدراجـات البخارية الصغيـرة"، وعند ملاحظتها مـن على مسـافة بعيـدة، كان كوكـب زحـل ودواماتـه العملاقـة تبـدو سـاكنة تمامًـا، ومـع ذلـك، يوجـد تحت سـطحه عواصف عنيفة مثل البقـع البيضاء العظيمة التي اكتشـفت عـام ١٩٩٠، والعاصفـة العملاقة التي اكتشـف عـام ٢٠١٠. وعلـى الرغـم مـن أن المناطـق السـحابية الموازية لمناطق خط الاستواء تم مشاهدتها في الغلاف الجـوي لكوكب زحل، فإن اللون والتباين بين النطاقات ليسـت لافتة للنظر مثل التي على كوكب المشـتري. أما السحب في هذه المناطق المجاورة تتحرك في اتجاهات متعاكسـة بسـرعة هائلـة، كمـا يلاحَـظ بقـع بيضـاء عندما تتفاعـل مـع بعضهـا البعـض، وتخلـق عواصـف يمكـن أن تصـل إلـى حجـم عمـلاق بالفعـل. ويمكـن لهـذه العواصـف أن تصـل إلـى سـرعة ١٨٠٠ كم في السـاعة.

ومـن العواصـف الأكثـر شـهرة علـى كوكـب زحـل، هـي تلـك التـي لوحظـت فـوق القطـب الشـمالي، وهـذه العواصـف لهـا شـكل سداسـي غيـر مألـوف؛ ويرجـع ذلـك إلـى الدوامـات الجويـة فـي المناطـق القطبيـة، وقد يبلـغ عـرض أكبر هذه العواصـف حوالي ١٣,٨٠٠ كم. ثبت وجود هذه العواصف الضخمة مرة أخرى بواسطة

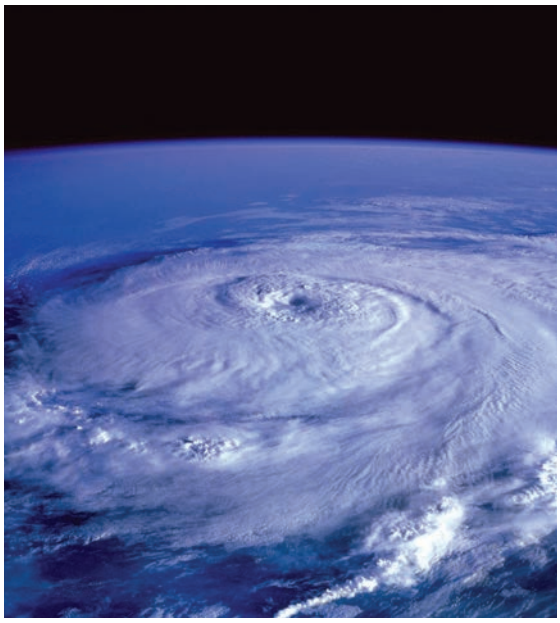

الأعاصير في الكرة الأرضية لا تساوي شيئًا عند أعاصير الكواكب الأخرى؛ فإن حجم إعصار البقعة الحمراء في كوكب المشتري -مثلاً- أكبر من حجم الأرض.

مسبار فوياجـر ١ وفوياجـر ٢ عـام ١٩٨٠ و١٩٨١.

وعندمـا ننظـر إلـى الكواكـب الأخـرى فـي النظـام الشمسـي، نجد أن كوكب الزهرة يتسم باختلافات كبيرة بيـن الضغـط العالـي والمنخفـض فـي غلافـه الجـوي، فيغطـي الكوكـب سـحب كثيفـة وسـميكة مـن حمـض الكبريتيـك، كمـا يتألـف كوكـب الزهـرة مـن البراكيـن النشـطة التـي تنتـج الغـازات السـامة والحـرارة الثابتـة. ويتشـكل الكوكـب حرفيًـا مـن الدخـان السـام. ويشـتهر كوكـب المريـخ بالعواصـف الترابيـة الحمـراء العملاقـة التي تغطي الكوكب بأكمله وتستمر لعدة أشهر، وعندما وصلـت مركبـة الفضاء مارينر ٩ إلى سـطح المريخ عام ١٩٧١، تبيـن أن الغـلاف الجـوي كان سـميكًا مـع رداء مـن الغبـار علـى نطـاق الكوكـب؛ وكان الشـيء الوحيـد الظاهـر، هـو جبـل أوليمبـوس مونـس الذي يبلـغ طوله مـا يقـرب من ثلاثـة أضعاف طول جبل إيفرسـت. وعند مراقبـة الغـلاف الجـوي للكواكـب القريبـة والعواصـف الهائلة التي تجتاحها، يكون من الصعب عدم تأمل القوة الهائلـة الموجـودة في الكون، حيث نجد أنفسـنا ممتنين بالشكر لنعمةِ الأرض التي خُلقت بهذه الطريقة المعتدلة والمتوازنـة، وبـدون هذا المناخ الملائم لما كانت الحياة على الأرض ممكنة. ■

(*) كاتب وباحث أمريكي. الترجمة عن الإنجليزية: بدران حامد.

hiragate.com

قطوف
فتح الله كولن

أنانية الفرد وأنانية الجماعة

إذا عُهد إلينا بمسؤولية في خدمة الإيمان -صغيرة أو كبيرة- فعلينا أن نوفّيها حقّها ونتواضع قائلين: "المسؤولية أعلى من كل شيء، والنفس أدنى من كل شيء"، ونكون على وعي بوظيفتنا وموقعنا. وقد يمنحنا الباري انبعاثًا جديدًا، يوفّقنا ويكلل أعمالنا بالنجاح ويتكرم علينا بعطايا لا تعد ولا تحصى. فالحذر الحذر -لحظتئذ- من الوقوع في براثن الأنانية فردية كانت أو جماعية، لأن الأنانية سبب الحرمان من عون الله. وإذا أردت لعناية الله أن تستمر بالهطول عليك في نجاحاتك، فتخلّ عن ادعاء الفضل لذاتك، اعمل على محو الـ"أنا"، وانسِب الفضل إلى صاحب الفضل، وتواضع أمام الله. إن هذا الوعي -لعمري- سيمكننا من تجاوز المسافات، والمضيّ إلى المستقبل قدمًا بروح غضة وحماسة متقدة لا تعرف الكلل ولا الملل أبدًا.

النعمة المكروهة

إن نعمة تبعد العبدَ عن ربه أعظم مصيبة يمكن أن يبتلى بها. إن كانت نعمة المنصب في إدارة، أو المقام في منظمة، أو اللقب في جامعة، أو الجاه في شركة، تنسينا ذكر خالقنا، أو تضخّم حس الغفلة في داخلنا، فإنها نقمة في ثوب نعمة. فاربط كل شؤونك بمرضاة الله، اضبط بوصلة قلبك في اتجاه رضاه، تستقم أمورك، وتنج من مخاطر النقم المبطَّنَة في النعم.

التفكر وقود المشاعر

إذا أردنا للمشاعر الروحية والعواطف الجياشة أن تبقى متقدة في قلوبنا لا يصيبها الشحوب، وأردنا لعشق السعي وحماس العمل أن يظلاَّ فياضين في عروقنا، فعلينا بتفعيل "آلية التفكر" وتعميق عملية التدبر. كلمة "التفكُّر" من صيغة "تفعّل"، وذلك يعني التكلّف ومزيدًا من الجهد في العمل، ومن ثم إذا أراد المرء أن يتطبع بخاصية "التفكُّر" فعليه بالممارسة المتواصلة في التأمل والإلحاح على النظر في الأمور من وجوهها المختلفة، والمثابرة على إجهاد المخ في التدبر حتى الصداع. بذلك يصير التفكر جزءًا من طبيعة الإنسان وسجية من سجاياه. التفكُّر ليس تلك العلاقة السطحية التي يقيمها المرء بينه وبين ما يراه أو يسمعه. التفكر أن يقلّب الإنسانُ الأمورَ من زاوية البداية وزاوية النهاية معًا، ويغوص في الأعماق يكتشف تراكيب جديدة، ويحرك العقل كالمكوك بين الأسباب ونتائجها، ويصهر المعاني التي توصل إليها في بوتقة روحه، ويدمجها في الوقت ذاته بمشاعره الجياشة، ويصفّيها بمصافي المقاصد الشرعية الكبرى، حتى تخرج غضة طرية نقية من أي شائبة. أجل، الوصول إلى أفق عال من العشق والشوق يقتضي تفعيل آلية التفكر، والحفاظ على ذلك الأفق يتطلب -كذلك- تفعيل آلية التفكر، والمواظبة على ذلك دون انقطاع.

الحفر في أرض المعرفة

البحث يولّد المعرفة، والمعرفة تولّد الشوق إلى المزيد، لذلك لا تتوقفوا عن الحفر في أرض معرفة الله. كل معرفة جديدة ستثير لديكم توقًا جديدًا إلى المزيد، وذلك سيؤدي بكم إلى مثابرة الحفر، والحفر إلى مزيد من الشوق إلى المعرفة، وهكذا دواليك؛ كمثل رجل رمى بدلوه في بئر، فلما سحبه وجده يفيض بالماء، فازداد شوقًا إلى الاستزادة فأعاد الكرة بعد الأخرى، وكلما تفجر البئر بالعطاء اهتز الرجل طربًا وشوقًا وهتف "هل من مزيد؟". فالإلحاحَ الألحاحَ على الحفر في أرض المعرفة، فلا يزال المرء يلح في الحفر حتى يغدو من أبطال "هل من مزيد؟" ■

(*) الترجمة عن التركية: نوزاد صواش.

خالد أوعبو*

أزمة الفكر والوعي المنهجي

بعدما تربعت الأمة الإسلامية قمة هرم العطاء الفكري والإبداع العلمي والإنتاج المعرفي لقرون معدودة، توالت الانحدارات والتراجعات والنكوص إلى حد القبول بالتبعية الفكرية والثقافية والعلمية. لقد كانت العلوم الإسلامية -وهي في أوج عظمتها- تُضيء كما يضيء القمر، فتبدد غياهب الظلام الذي كان يلف القرون الوسطى، إلى أن طرأ على فكر الأمة وثقافتها تشوهات ملموسة، مما أعاقها عن الوصول بمشروعها الحضاري إلى كامل أهدافه وغاياته.

فما طبيعة الأزمة التي يعاني منها الفكر الإسلامي؟ لماذا تراجع الأداء الحضاري للأمة وبناؤها الاجتماعي وعطاؤها الفكري؟ وكيف يمكن بناء منهجية معرفية إسلامية تقينا هذه التشوهات؟ وما دور بناء الوعي المنهجي في الإقلاع الحضاري المنشود؟

إن أزمة الفكر التي نعيشها، أزمة حقيقية موجودة في جانب المصادر والمناهج وإلى جانب القضايا الأساسية التاريخية التي أحدثت أسوأ الآثار السلبية في عقليتنا وفي نفسيتنا وفي طريقة تفكيرنا، والتي أحبطت محاولات إصلاح كثيرة جدًّا. لقد اعترت الأمة الإسلامية أشكال من الخلل المنهجي والفكري عطلت قدرتها على الفعل والإنجاز والأداء، كما شكلت عائقًا أمام الإقلاع الحضاري المنشود؛ وأول هذه التشوهات وأخطرها، تشوه الرؤية الكونية الإسلامية التي تشكل إطار فكر الأمة وثقافتها، بحيث لم تعد رؤية كونية شمولية إيجابية قادرة على أن تقدم الدليل والهداية الكلية لفكر المسلم وضميره وعلاقاته ونظمه، فكلما كانت هذه الرؤية واضحة جلية وإيجابية وسهلة الفهم والتمثل والإدراك، وكلما كانت بعيدة عن التناقض وعن الخرافية والأوهام، وكلما كانت بعيدة عن السفسطة والتعقيد وبعيدة عن الإغراق في لغة التجريد والتنظير وفرض المسلمات القهرية التي تخفي العجز والتناقض، كلما مثلت هذه الرؤية قوة ضميرية عقدية تربوية فاعلة محركة للفرد والمجتمع، ومفعلة لمنهجية فكر المجتمع وكل ما لدى الفرد والمجتمع من أدوات الفعل والحركة وضوابطها المتمثلة في مبادئ منهجية فكره، وما تنطوي عليه المنهجية من مفاهيم وقيم وضوابط.

إن الخلل في رؤية العالم تتمثل في فقدان الرؤية الشمولية التوحيدية، مما أفضى إلى فقدان الرؤية الصحيحة، فنتج عنه ضعف في ترتيب الأولويات وفي تحقيق مصالح الأمة. كما يتمثل الخلل في هذا المجال، في البحث عن الحقيقة في حيز ضيق ومحدود من مجالات المعرفة بالاقتصار على التراث دون المستجدات، والاقتصار في هذا التراث على الجانب الفقهي منه، دون استيعاب مصادر التأسيس من الكتاب والسنة، أو على الجانب النصي دون استيعاب مجالات التطبيق في مسائل الكون والعمران. والنتيجة الحتمية هي توقف الاجتهاد والاكتفاء باستهلاك نفس المنتوج دون محاولة إنتاج منتوج جديد يلائم متطلبات العصر، اعتقادًا بأن القواعد المستخدمة في البحث في القرآن والسنة تعتبر كمسلمات رغم كونها مجرد قواعد أبدعها

إن الخلل في رؤية العالم تتمثل في فقدان الرؤية الشمولية التوحيدية، مما أفضى إلى فقدان الرؤية الصحيحة فنتج عنه ضعف في ترتيب الأولويات وفي تحقيق مصالح الأمة.

حراء

الفكر الإسلامي. إن عدم تجديد أدوات عمل أصول الفقه -على سبيل المثال- وتضخم فقه العبادات وضمور "فقه الواقع" نتج عنه اجترار الفتاوى الفقهية واشتداد العصبية المذهبية.

ومن مظاهر الاختلالات التي عرفها الفكر الإسلامي كذلك، الفصل بين الآليات الثلاث للاشتغال، بين المادة الخام (القرآن والسنة)، وأدوات العمل (اللغة وعلم أصول الفقه..)، والمنتوج (الفقه والتفسير..)، فأصبح البعض يفتي بغير علم لعدم تمكنهم من الأدوات، أو استخدام الأدوات مع عدم توفر المادة الخام، وكذلك الفصل بين القرآن والسنة، واعتبار هذه الأخيرة مصدرًا ثانيًا للتشريع وليست بيانًا، زيادة على أزمة التعامل مع النص في حد ذاته من خلال القراءة والتفسير الموضعي بدل الموضوعي أو ما يعرف بالقراءة العضين، أي القراءة التجزيئية للنصوص التشريعية، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۞ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۞ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾(الحجر:٨٩-٩١)، المقتسمين: المتحالفين، أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم. الذين جعلوا القرآن عضين: أي جزأوا كتبه المنزلة عليهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

إن أزمة الفكر الإسلامي تمثلت أيضًا في الخلل في فهم الواقع والتعامل معه؛ إما من حيث التشبث بالمثال وتخيل صورة مثالية وهمية في التاريخ الإسلامي والهروب إليها من الواقع المعيش ثم الاستدعاء الآلي للمثال السلفي في كل معالجة للواقع، أو اعتماد الواقع الغربي مثالاً للنهوض والتقدم بصرف النظر عن الخصوصيات الثقافية والاجتماعية لواقعنا.

إن انبهار مثقفي الأمة بالنموذج الغربي القادر المنتصر بسبب إنجازاته العلمية المادية، وبسبب موروث جمود الفكر، إلى جانب سيطرة روح التقليد والمحاكاة لدى

hiragate.com

مثقفي الأمة المتلمذين في هذه الحالة على الحضارة الغربية، هذا السبب الذي جعلهم يتبنَّون -بوعي وبدون وعي- منهجية الفكر الغربي، بما يحمله في طياته من رؤية للحياة والكون، فلا ينصرفون بجدية علمية إلى إصلاح فكر أمتهم، وقبل كل ذلك وبعد كل ذلك لرؤية أمتهم الكونية التي سبق أن جددت منطلقات الحضارة الإنسانية، وحققت للأمة أمجادها التاريخية.

ومن مظاهر الخلل أيضًا، الخلل في ربط الأسباب بالنتائج، والذي يتمثل في فهم الأسباب والتعامل معها بعدم الأخذ بها بحجة التوكل على الله، أو الظن بأن اعتماد الأسباب يطعن في العقيدة، لأن النتائج -في ظنهم- من فعل الله سبحانه لا من أسبابها ومقدماتها.. أو تغييب البعد الغيبي والظن بأن الأسباب هي الفاعلة الوحيدة في النتائج دون تدخل القيوميّة الإلهية خلافًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(التكوير:٢٩).

كما تمثلت أزمة الفكر الإسلامي في الخلل في معرفة الحقيقة والعمل ضد مقتضياتها، ومن الأمثلة الملموسة على ذلك "قضية التدخين"، فمع العلم بأضراره، تستمر مختلف الدول في الاستثمار فيه لما يدر من أموال طائلة.

إضافة إلى هذه الاختلالات المنهجية التي أدت إلى بروز أزمة في الفكر الإسلامي، يمكن الحديث عن اختلالات مفاهيمية "بناء المفاهيم"، تتجلى بالأساس في الفهم الخاطئ لمجموعة من المفاهيم، وبالتالي توظيفها توظيفًا غير مناسب، والنتيجة الحتمية ظهور اختلالات في النتائج. ومن الأمثلة على ذلك، تعريف السنة بعيدًا عن كونها بيانًا للقرآن الكريم، ومفهوم الفقه بكونه يقتصر على استنباط الأحكام الشرعية، رغم كون هذا الأخير جزءًا من الفقه وليس الفقه كله، ومفهوم العقل بكونه مصدرًا للمعرفة وليس أداة لبلوغها.

إذا أرادت الأمة الإسلامية تجاوز هذه الأزمة الفكرية واستعادة عزتها ورقيها وتصدر قافلة الحضارة الإنسانية، فعليها تملك وعي منهجي واضح الخطوات في بنائه، بين بناء للمفاهيم وبناء للأطر المرجعية للتحقق من تلك المفاهيم ولتحقيق غاية المنهجية. كما عليها قبل ذلك الاقتناع بضرورة تملك هذا الوعي والعمل على نشره، سواء من جهة بناء التفكير المنهجي أو البحث المنهجي أو السلوك المنهجي، وذلك لتجاوز مختلف الاختلالات التي يعاني منها الفكر الإسلامي من جهة امتلاك الرؤية الكلية للعالم، أو في فهم الواقع وأساليب التعامل معه، أو في تفسير الظواهر وإدراك علاقة الأسباب بالنتائج.

إذا كان الوعي المنهجي هو الحالة التي تعبر عن إدراك الواقع القائم ومنهج تغييره إلى الواقع المنشود، فإنه يجب أن يتسم بالكلية، وأن يستند إلى التدبير الهادف الذي تحكمه رؤية كلية للعالم. وأول مقومات هذا الوعي، ما يتعلق بمنهج التعامل مع القرآن من خلال التعامل مع الخطاب القرآني من منطق شمولي، واعتماد المرجعية القرآنية ضمن مفهوم الوحدة البنائية للقرآن الكريم والسنة النبوية بوصفها بيانًا للقرآن وتطبيقًا لتوجيهاته.

إن الإسلام إذا حسن فهمه، وتمت تنقية رؤيته القرآنية الكونية الحضارية من التشوهات، وتمت تنقية منهج فكره ومفاهيمه من الانحرافات والخرافات، وحسنت أساليب ناشئته، سيجد الإنسان المادي المعاصر فيه -ولا شك- الخلاص من الصراعات والمظالم والمخاطر التي تهدد وجوده، وسيجد فيه الهداية والرشد الذي تتطلع إليه أشواقه الروحانية وفطرته السوية، ليبدل الإنسانية من بعد خوفها أمنًا وطمأنينة نفسية ورفاهًا وعدلاً معاشًا.

إن تطوير الفكر الإسلامي والمعرفة الإسلامية، يتطلبان استيعاب مناهج المتقدمين، وإبداع واستحداث قواعد جديدة ووسائل عمل جديدة تتناسب والواقع الاجتماعي للأمة، أولها "فقه الواقع"، والنظر في القيم كمدخل لتجديد العلوم الإسلامية، واعتبار التفسير القيمي كآلية جديدة من آليات التفسير.

يعتبر القرآن الكريم منبعًا للطاقة الفكرية للمسلم، ومن ثم منبعًا لجميع المعارف والعلوم، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(الأنعام:٣٨). فالمعرفة القرآنية متكاملة وشاملة، وهو بالضرورة يتضمن منهجيات مختلفة تتناسب والقضايا المطروحة، كفيلة بإخراج الأمة من الانحطاط إلى تبوء مركز الريادة باعتبارها خير أمة أخرجت للناس. ■

(*) باحث في التربية والدراسات الإسلامية / المغرب.

hiragate.com

خلف أحمد أبو زيد*

في جسمنا آلة تصوير

هناك مثل شائع يقول "إن العين عليها حارس"، ولكن في الحقيقة العين عليها عدة حرَّاس وليس حارس واحد، يقومون بحمايتها والحفاظ عليها من كل أذى. فكون العين كروية الشكل فإن موقعها الغائر في كهف عظمي "المحجر" يحميها من الأذى، كما أن مقلة العين ذاتها ترقد على وسادة دهنية تقيها شر الصدمات الموجهة للرأس، أما سطحها المكشوف فتحميه الأجفان التي هي خط الدفاع الأول ضد أي هجوم على العين من الأجسام الغريبة كالأتربة أو الرمال، فإذا شعر الشخص باقتراب أي جسم غريب من عينيه، أُغلقت الأجفان بحركة لا إرادية، وبقيت الأتربة معلقة على الرموش التي هي بمثابة المصفاة للعين، فإذا غسلنا الأجفان جيدًا وتخلصنا من الأتربة، بقيت العين سالمة.

شكل العين

العين مستديرة الشكل كالكرة، وهي مطاطة بحيث إذا بعجتها إلى الداخل فسرعان ما تعود إلى حالتها الطبيعية الأولى، لكنها تختلف عن الكرة في أن المحتويات الداخلية للعين سائلة

يتغير اتساع إنسان العين بقوة الضوء وضعفه

وليست غازية، وأن الجزء الأمامي من جدار العين والقرنية، شفاف يسمح بدخول النور والمرئيات، كما أنه يستطيع أن يشف ما وراءه داخل العين، مثل زجاج الساعة الشفاف الذي نستطيع أن نرى ما وراءه بوضوح. وبالتالي إن العين تستطيع أن تدور داخل محجرها دوارنًا محدودًا بفعل ست عضلات تستمد أعصابها من المخ، وانسجام حركة هذه العضلات مع بعضها، له أهمية قصوى لتجنب ازدواج المرئيات، كما تتصل العين بالمخ عن طريق العصب البصري.

تركيب العين من الداخل

تنقسم مقلة العين من الداخل -بشكل عام- إلى قسمين: قسم أمامي صغير اسمه "الغرفة الأمامية"؛ ويحتوى على سائل مائي رقيق صاف يسمى بـ"السائل المائي"، وقسم خلفي رئيسي يحتوي على مادة هلامية تسمى بـ"السائل الزجاجي". ويوجد في العين النسيج الشفاف الوحيد في جسم الإنسان وهو "القرنية"، وهي نافذة العين الأمامية التي يتحتم على كل الأشعة الضوئية الداخلة إلى العين أن تنفذ منها. أما العدسة فتقع خلف القرنية بمسافة قصيرة ويفصلها عنها السائل المائي، ويحجب العدسة حجبًا جزئيًا حاجز يسمى "القزحية"، وهي ذلك القرص الملون الذي نراه في عيوننا، وتتحكم القزحية في اتساع الفتحة التي ينفذ منها الضوء إلى العدسة. أما إنسان العين فهو تلك الفتحة التي تظهر كبقعة مستديرة سوداء في مركز القزحية، ويتغير اتساعها نتيجة قوة الضوء وضعفه. والشبكية تبطن كرة العين من الداخل، ويقابلها في آلة التصوير -التي نستعملها في تصوير الأشياء- الفيلم الحساس، ولكن الصورة لا تلتصق بها، بل ترتد بسرعة هائلة في الاتجاه العكسي، وبذلك يرى الإنسان صورًا جديدة متلاحقة باستمرار. وإذا أردنا أن نبسط الأمور لمعرفة تركيب العين لَقُلنا إن لمقلة العين ثلاثة أغلفة: الغلاف الخارجي وهو عبارة عن القرنية من الأمام وامتدادها هو الملتحمة من الخلف.. والصلبة.. والقزحية، والجسم الهدبي من أمام، وامتدادهما المشيمة من الخلف.

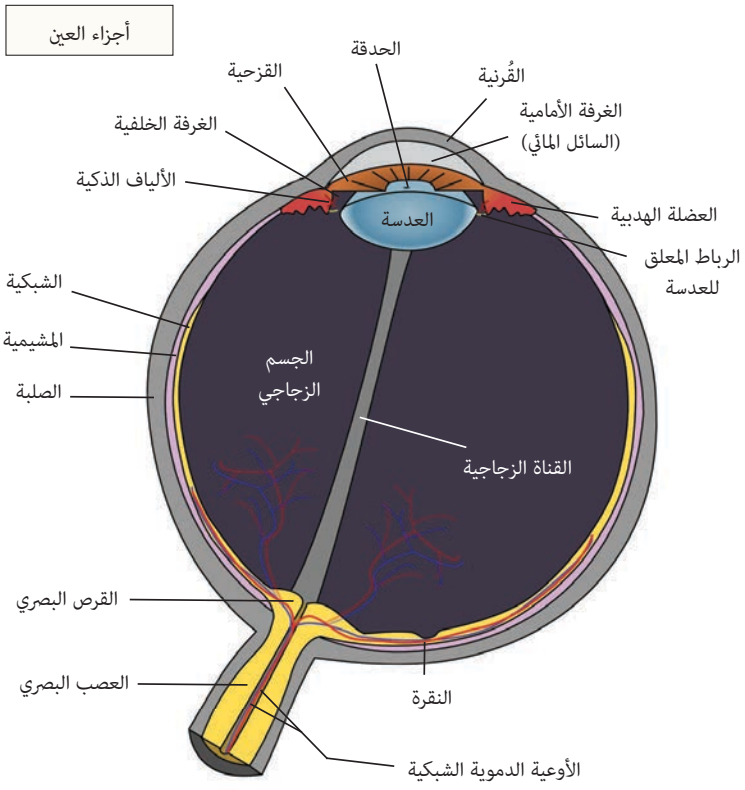

كيف ترى العين؟

من روعة إعجاز الخالق ﷻ عندما ننظر إلى شيء ما، يدخل الضوء المنعكس من هذا الشيء إلى عدسة العين بسرعة فائقة مذهلة تتعدى

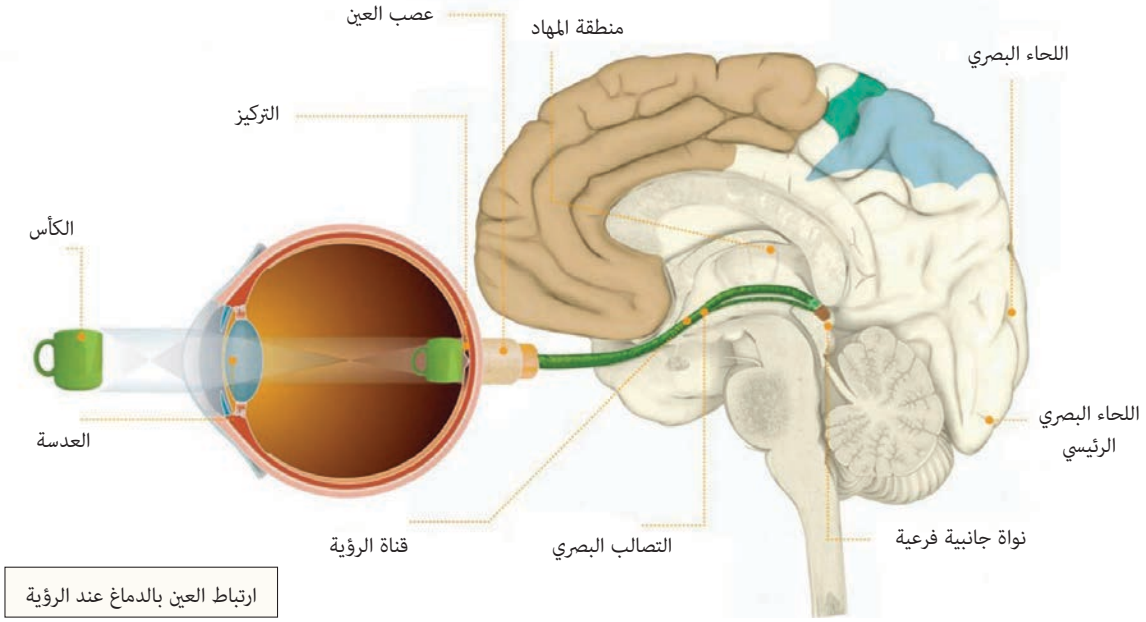

ارتباط العين بالدماغ عند الرؤية

١٥ ترليونات فوتون من الجزئيات الضوئية في الثانية الواحدة، ثم يمر عبر العدسة الذي تملأ كرة العين، إلى الشبكية التي تحتوي على أكثر من ٥٠٠ مليون خلية بصرية في طبقة واحدة من طبقاتها، لتميز الضوء عن الظلام وتعكس الألوان، ثم تخزن الصورة وتحوّلها إلى نبضات كهربائية دقيقة تنتقل إلى الدماغ عن طريق الألياف البصرية التي يقدر عددها ٨٠٠ ألف ليف عصبي، وفي الدماغ يتم تكوين الصورة النهائية وإدراكها في عملية تسمى "الرؤية". فنحن نرى بأعيننا ولكن الرؤية لا تتم إلا في الدماغ.

ومن صور الإعجاز الإلهي في خلق العين، أن الخالق ﷻ جعل العينين في مقدمة الرأس، وذلك يجعل الرؤية المكانية ثلاثية الأبعاد أكثر دقة وتميزًا مما لو كان موضعها على جانبي الرأس، مثل معظم الحيوانات. ومن صور الأعجاز الإلهي في هذه الجوهرة الثمينة، أنها تستطيع فك شفرة مشهد مكوَّن من ملايين المعلومات، وتميز بين ما يزيد عن ١٠ ملايين لونًا مختلفًا في أقل من ثانية واحدة بسرعة ٦٠٠ بت في الثانية الواحدة، و"البت" هو أصغر وحدة قياس لتخزين المعلومات في الحاسوب، وهذه السرعة المذهلة تكون بالألوان وبدقة متناهية فائقة، معجزة تقدر بـ٥٧٥ ميجا بيكسل؛ أي أكثر من ٥٠ ضعفًا من أحدث عدسات الكاميرات الرقمية في العالم، بالرغم من أن وزنها لا يتعدى ٨ جرامات، وحجمها في المعدل ٢٥ مليمترًا.

ومن صور الإعجاز في خلق العين نجد أنه من أجل نقاء وصفاء الصورة التي تنقل إلى الدماغ، جعل الخالق ﷻ القرنية التي نرى من خلالها الأشياء، شفافة تمامًا لكيلا تشوش الصورة على الإنسان، ولذلك نجدها تخلو من أي أوعية دموية على خلاف كل أنسجة الجسم دون استثناء، وجعلها تأخذ ما تحتاج إليه من أكسجين وغذاء من خلط الماء الذي تفرزه الأنسجة المجاورة خاصة الأهداب. بل من بديع خلق العين، أن ليس هناك عين مثل الأخرى بين بلايين البشر، ولذلك تعد بصمة قزحية العين أفضل طريقة للتأكد من هوية الأشخاص في أقل فترة (ثانية واحدة) بكاميرات مخصصة ذات دقة عالية، وبدون شعور الشخص بأنه يتم قراءة بصمة عينيه.

هل لرؤية العين حدود؟

إن للعين حدودًا معينة للرؤية؛ فهي تستطيع أن ترى الأشياء التي تتراوح موجاتها ما بين ٤٠٠ إلى ٧٠٠ نانوميتر، ولا ترى الموجات ما فوق ذلك وما تحت هذه الترددات، مثل أشعة إكس، وأشعة جاما، والأشعة فوق البنفسجية، والأشعة تحت الحمراء، وأشعة الرادار، وكلها لها تطبيقاتها على نطاق واسع في حياتنا، ولكن لا نراها بالعين المجردة. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

د. حسن الأمراني*

سبحان ربك

سبحـانَ ربِّـك، وحَّد الديـنُ ... وتُفـرِّقُ الأهـواء والطِّـينُ
لو ذقْتَ من بحر اليقينِ ولو ... حسْـوًا لما طـغَـتِ الموازينُ
فاشربْ، فديتك، كأسَ مغفرةٍ ... وانصبْ فإنَّ القلـبَ محْـزونُ
قَلَـبَ الزمانُ لنا المجـنّ وما ... يبـقى علـى أحـواله حيـنُ
كـلٌّ وإن طـال الـزَّمـان بنـا ... يومًـا بجـوْفِ الأرض مرْهُـونُ
هـذا تجـاوره بـما كسـبت ... يـده العطايـا والـريـاحـينُ
هـذا يجـاوره لـشـقـوتـه ... دودٌ وتنهشُـه الشـعـابيـنُ
فلـمـن نهـدّم مـا نشيّـده ... لغـدٍ؟ وتغـوينا الشـياطينُ؟
هـبْ أننـي وفّيـت، وا عجبا، ... أين الوفـاء المحض والدينُ؟
هـب أنني أسْرفْتُ في خطئي ... أين الندى، والصَّفْح، والليـنُ؟
والمـوْتُ يرصـد مـن مواقعه ... أو ما هـوتْ منـه الفراعـينُ؟

(*) شاعر وأديب مغربي.

د. الشريف حاتم العوني*

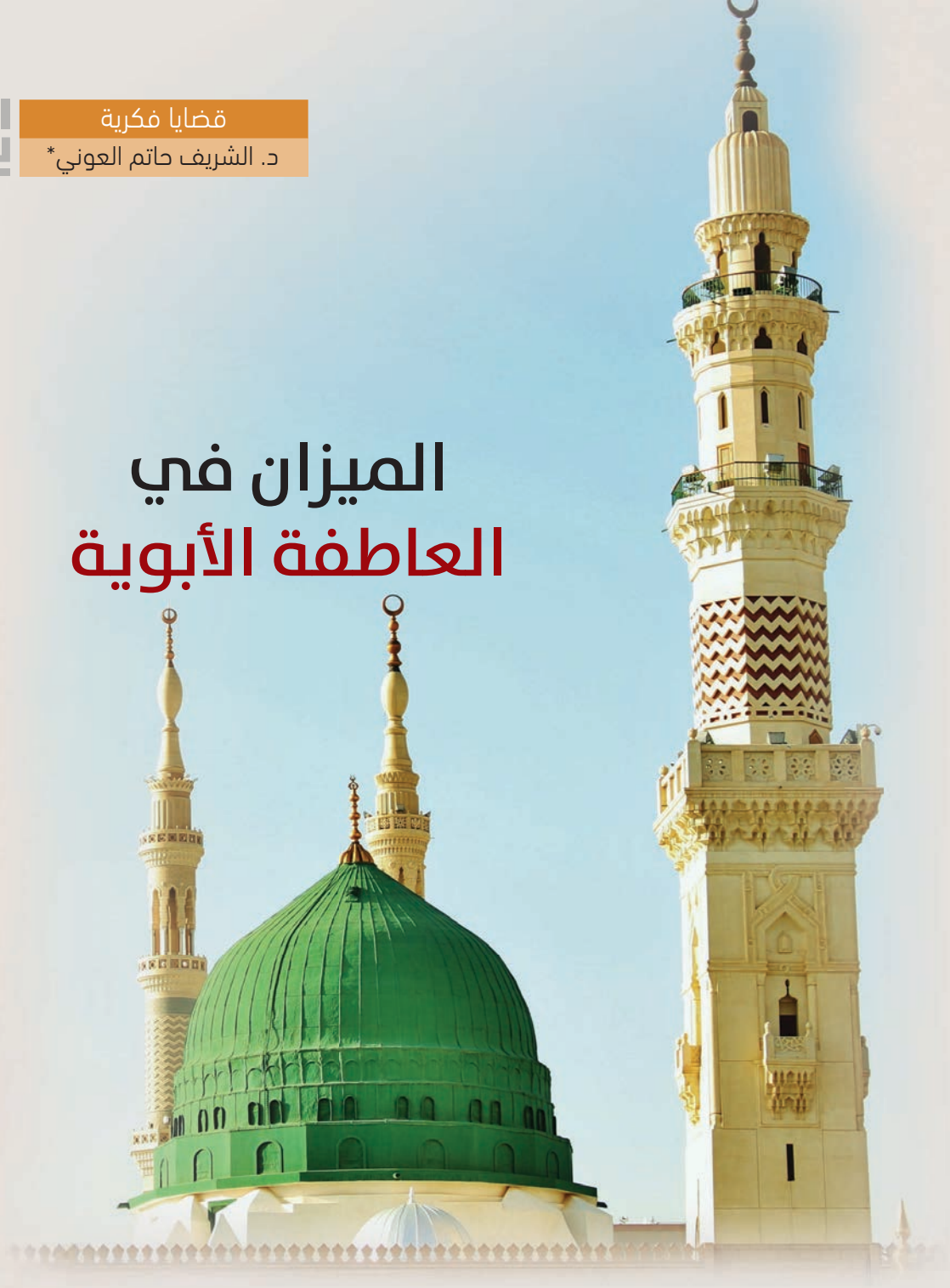

الميزان في العاطفة الأبوية

تأملت ما صح في السنن من حديث بُريدة بن الحُصَيب ﷺ أنه قال: خَطَبنا رسولُ الله ﷺ، فأقبل الحَسَنُ والحسين ﷺ، عليهما قميصان أحمران يَعْثُران ويقومان، فنزل رسول الله ﷺ فأخذهما وصعد بهما إلى المنبر، ثم قال: "صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(التغابن:١٥)، رأيتُ هذين فلم أصبر"، ثم أخذ في الخطبة (رواه الترمذي).

عنوان هذا الحديث الناطق، هو العاطفة الأبوية الآسرة التي كانت تملأ فؤادَ رسول الله ﷺ. ولكي نقف على بعض نواحي عظمة تلك الرحمة الأبوية في فؤاد رسول الله ﷺ، علينا أن نتأمل المعاني الجليلة المتضمَّنة في هذا الحديث. فمن المعلوم أن لحظات الجِدِّ وأوقات الانهماك فيه من أبعد ساعات العمر عن العواطف، وخاصة العواطف المعتادة، كاستشعار الأبوّة دونما سبب قاهر أو حادث غير معتاد.

ويمكن أن نستحضر خطيبًا من الخطباء -في أيامنا

هـذه- قام في جمْـع غفيـر ملقيًا خطبته، فالأنظار به متعلّقة والأسماع إليه مصغية، وهو مستغرق في جِدِّ مواعظه البليغة التـي تَهمَّـمَ لها، يحاول أن يستجمـع لها قواه الذهنية، وأن يستصحبها فؤادَه، فتفيض مشـاعره بمعانيها لينطلق لسـانه في بيانها مترجمًا عما في جَنانه، فتتكلّم بها جميـعُ حواسّه: بنبرات الصوت المختلفة، وبإشارات اليد، والتفاتة الوجه، ونظـرة العيـن، وحركة الحاجب.. انهمـاكًا منه في أداء هذا الواجب الكبير والشـغل الجليل. هل سـيجد بصره -فضلاً عـن قلبـه- مكانًـا لنظـرة أبويـة في هـذا الخضَـمّ الهائل من الشغل؟ هل يمكن أن يتسلل إلى قلبه -حينها- أدنى شعور بدلال الطفولة وهزلها الفطري؟ والحاصل أن الجدَّ قد ملأ أفقه، والمهمات قد ملكت مشاعره.

فإذا كان هذا الخطيبُ هو رسولَ الله في عظَم أعبائه التي لـم يقاربهـا أحـد من العالميـن؛ لأنها أعباءُ إصلاح البشـرية وهدايتها إلى قيام السـاعة. فهي أمانة تبليـغ الرسـالة الكاملة والخالـدة، والتـي أدّاهـا ﷺ علـى أتم وجه وأحسـن طريقة.

وإذا كان هـذا الخطيـبُ هـو رسـولَ الله فـي تمحُّـض عبوديتـه لربه ﷻ، وسـموّ تألُّـهه لإلهه سـبحانه، وشـديد وَجَلـه وكبيـر رجائـه وكامل حبـه، لخالقه العظيـم تعالى وتقدّس سبحانه.

وإذا كان هذا الخطيبُ هو رسولَ الله في زهده البالـغ فـي الدنيـا، وحقـارة زينتها في قلبه أمـام الآخرة، وتأخير أجلّ ملاذّها عن أي عمل يقربه من ربه ﷻ، والإعراض عن جميـع مفاتنها في سبيل رضوان الله تعالى وجنته.

وإذا كان هـذا الخطيـبُ هـو رسـولَ الله ﷺ؛ رئيـس الدولـة الإسـلامية الناشـئة، والتـي يؤسسـها ﷺ لتكـون الدولـة الخالـدة إلـى قيام السـاعة، وهو يؤسسـها ويسـير بها كسفينة في محيط هادر من الأعداء هم أهل الأرض كلهـم حينهـا. فمـا أشـقّ كل مَهَمَّـة من هاتيـن المَهمَّتين: تأسيس دولة فيها مقومات الخلود، وفي وسط هائج من الأعداء. فهي دولة تُنشـأ على غير مثال سـابق فيحتذى، وعلـى ألاّ يكـون بعدهـا ما يفـوق كيانهـا المرتجى. فهي نمط فريد لا قبله مثله، ولا يكون بعده مثله.

وإذا كان هذا الخطيبُ هو رسـولَ الله الذي كان مـع قيامه بتلك المَهَمّة الخارقة، وهي تأسيس الدولة الفاضلة الخالـدة، فهـو المسـؤول عن جميـع شـؤونها مـن أجلِّها إلـى أدقِّهـا، فمـن حروبها ومعاهـدات سِـلْمها وعلاقاتها الدوليـة التـي تجاوزت حـدود جزيرة العـرب إلى أعظم إمبراطوريـات العالـم حينهـا، إلى شـؤونها الداخلية التي تصـل إلـى آخـر التفاصيـل وأضعف الدقائـق كحمل همّ الضعفاء، وسُـقيا مواشـي البدو، وحلِّ نزاعات الخصوم في توافه الدنيا، إلى آخر هذه القائمة التي ليس لها آخر.

وإذا كان هذا الخطيبُ هو رسولَ الله في كمال عقله، ورجاحة رأيه، وشَمَم جبالِ رزانته، ومضاء عزمه، وشدة حزمه، وقوة بأسه في مواطن البأس، واستقامة جِدّه، مما جعل ابتسـامته السـخية لكل أحد حَدَثًا هائلاً يسـتوجب النقـل والتدقيـق فـي وصفـه وبيـانِ حـدود انفراج شـفتيه الكريمتيـن بتلك الابتسـامة "حتى بـدت أنيابه"، أو "حتى بدت أضراسه"، أو "حتى كادت تبدو نواجذه"، أو "حتى بدت نواجذه"، وأنه ﷺ "في تبسُّمه ما رُئيت لَهَوَاتُه". وما ذاك إلا أنها ابتسامة من بين شفتي رسول الله ﷺ في جِدّه وحزمه وعزمه وعلو شأنه في ذلك كله.

وإذا كان هـذا الخطيـبُ هـو رسـولَ الله، والمنبـرُ هو منبرَ رسولِ الله ﷺ، والذي هو في درجاته الثلاث أشرفُ منبرٍ عرفه الخطباء في تاريخ البشر، وأعلى منبر صُعّدت إليه الأبصار، وأسـمى موضـع حفّت به قلوبُ المنصتين مـا دام عليـه رسـول الله ﷺ. ثـم لا يملـك رسـول الله ﷺ؛ إذ رأى حفيديـه يمشـيان ويعثـران مـن الصغـر، إلا أن يهبـط عـن منبـره، وهو منبـره.. فهو هبوط فـي كل درجة مـن درجاتـه الثلاث من السـحاب إلـى الأرض، والنازل الصاعد هو رسول الله ﷺ. إن هذا الهبوط والصعود لهو كلحظة يتوقف فيها الزمن، أو تُحتبَس فيها الشـمس عن الغـروب، فهـي لحظـةُ هبـوطِ وصعودِ رسـول الله ﷺ من منبر خطبته، ولحظةٌ توقفت فيها خطبته ﷺ.

مـا أعظمهـا مـن أبـوَّة.. ينـزل ﷺ مـن منبـره، ويقطـع ما انقطعت القلوب لسماعه من خطبته، وما تفتت الأكبادُ منا حسـرةً علـى عدم حضوره ومشـاهدته.. مـن أجل أن يضم حفيديـه إلى جناحه، ويشـم عبـق طفولتهما، ويطفئ حرارة شـوقه إليهمـا.. وأمـام ذلـك الجمـع الجليـل الـذي توقف الزمـن لديـه، وتجمّـد الأوانُ عنـده، حتى خشـعت نبضات قلوبهـم لذلـك، وتسـمَّرت أحداقُهـم علـى هـذا المشـهد الجليل فلم تَطْرُفْ. إنه موقف لا يمكن أن تصفه العبارات،

hiragate.com

ولا أن تصوره الخيالات، ولا أن تستجمعه المشاعر.

إنها أبوَّة ورحمةُ مَن وسعت رحمته العالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧)، ثم تتجلى هذه الرحمة في هذا الموقف النبوي الأبوي الكبير، ليكون موقفًا يتعلم منه البشر أن الرحمة والأبوَّة لا يجوز أن تغيب في كل ساعات الحياة، ولا يصح أن تضيع بين زحمة الأعمال، بل لا ينبغي أن تخفُت جذوتها المتقدة في أي لحظة ولو كانت لحظة خُلقت للجِدِّ والحَزْم وخُلق الجدُّ والحزمُ لها.

وإنهما نجلا سيد الأولين والآخرين، وقطعةُ قلبه، وأخْذَةُ بصره، وفَيْضَةُ مشاعره.. كم طار لهما قلبه، وكم تلهَّف لرؤيتهما فؤاده، وكم نَعِمَ بضمِّهما إليه، وكم استنشق من طِيب نَفَسهما وهو يعانقهما، وكم قبَّلهما حتى كان مَبْسَمُهما ما تلألأ إلا ذُكِرَ تقبيل رسول الله ﷺ لهما. وكم أسعدا رسول الله ﷺ بابتسامة، وكم أنسياه همًّا كان قد كَرَبَه، وكم تلذَّذ بمشاهدة لَهْوِهما وتقافُزهما وتصارعهما، وكم رأى فيهما فرحة الطفولة فآنساه بها في رجولته، وكم لاحت له مخايل البطولة في توثُّبهما فاعتز بذريته، وكم خفَّفا عنه بخِفَّة ظِلِّهما ومُزاحهما ثِقَل دعوته. أوَلا يستحقُّ مَن ملأ قلب الحبيب ﷺ بالسعادة أن يُحَبّ؟ إنهما الحسن والحسين ﷺ.

فإذا ما تجاوزنا حديث المشاعر إلى حديث الشعائر والأحكام والفقه المستنبط من هذا الخبر، فأقف عند استشهاد النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿فِتْنَةٌ﴾. فهل ما وقع من النبي ﷺ في هذا الموقف الأبوي من الفتنة التي حذّرت الآيةُ منها؟ لا يمكن أن يكون هذا، وحاشاه ﷺ من أن يفتنه عن رضوان ربه ﷻ شيء. ثم ما الفتنة التي وقعت في هذا الموقف الأبوي الرائع؟ هل نقص بلاغه ﷺ؟ هل فسد ما أصلحه ﷺ؟ هل تعطلت مصالح العباد؟ هل خربت البلاد؟ بل هل قطع ﷺ خطبته بلا رجعة؟ كل ذلك لم يكن. فأين هي الفتنة؟

إن هذا الموقف الأبوي الرائع، نموذج من نماذج القدوة النبوية، وإنه أحد دلائل نبوته ﷺ في خُلُقه العظيم وكمال بشريته التي كان بها أفضلَ الخَلْق وأحبَّهم إلى الله تعالى. ولذلك فهذا الموقف تشريعٌ وليس فتنةً يُحَذَّر منها؛ تشريعٌ يُذكِّر أصحابَ الجِدّ والمسؤوليات العظام بأنه لا يصحُّ لهم أن يسمحوا لجِدِّهم ولمسؤولياتهم بأن تقتل فيهم عواطفَهم، ولا أن تُغَيِّبها -ولو للحظة- ولو كانوا غارقين في أعماق الجِدِّ؛ لأن عواطفهم هي طَوْق نجاتهم من الغرق في لُجَّة جِدِّهم. تلك اللجة التي لو ابتلعتهم لأفقدتْهم إنسانيتَهم، لتُلقيهم بعد ذلك على ساحل الجفاف العاطفي وفي صحراء نُضوبِ المشاعر آلةً بشرية لا تستطيع الحياة إلا مع الآلات، لأنها لم تَعُدْ تعرف أحاسيس بني البشر، فقرارات جِدِّها أصبحت وبالاً عليها، لأنها قرارات غابت عنها خاصية الإنسان، بسبب جِدٍّ عزَبَتْ عنه المشاعر، وبسبب عقلٍ لم يلتفت إلى قلبه.

لا يصحُّ لأصحاب الجِدّ والمسؤوليات العظام أن يسمحوا لجِدِّهم ولمسؤولياتهم بأن تقتل فيهم عواطفَهم، ولا أن تُغَيِّبها ولو كانوا غارقين في أعماق الجِدّ؛ لأن عواطفهم هي طَوْق نجاتهم من الغرق في لُجَّة جِدِّهم.

إن تلاوة رسول الله ﷺ لتلك الآية، لا يعني أن ما وقع منه هو الفتنة التي حذرت منها، وليس ذلك بلازم من تلاوته ﷺ لها، ولكنه أراد أن ينبه إلى أن الفرق بين الحُنُو الأبوي الذي ينبغي ألاّ ينضب، والفتنة بالولد إلى حد شلل التفكير وتعطُّلِ عمل العقل -فرق دقيق جدًّا- هو شَعْرةٌ تفصل بينهما.

كما أنه ﷺ لعظيم إجلاله لربه ﷻ، ولكمال معرفته به سبحانه، كان يُكثر أن يقول في دعائه: "يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك". فلا نستغرب من هذا القلب العظيم الوجل من تَغَيُّرِ الأحوال ومن هذه النفس التي لم تثق بغير مولاها ﷻ ولم تر لها حولاً ولا قوة إلا به سبحانه، أن تخشى من افتتانها بالولد إن لم يحفظها خالقُها ومولاها.. فتلا ﷺ تلك الآية مستشعرًا تمام حاجته إلى عناية الباري وحفظه، في أن يقيه من فتنة الولد، وتلا ﷺ تلك الآية لكي يذكِّر نفسه بضرورة الوقوف بحبه لحفيديه عند أعلى حدود الأبوَّة الحانية، دون أول حد الافتتان الذي يؤدي إلى التقصير في حق أعظم محبوبٍ على الإطلاق، ألا وهو ربنا ﷻ. ■

(*) كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى / المملكة العربية السعودية.

د. عبد الحميد الداودي*

إذا استطاع الإنسان أن يُحكِم زمام مشاعره السلبية، يستوعبها يربّيها ويوجهها وجهةَ الخير، فإنها تصير له من أفضل المطايا التي تقله إلى جنة الخلد.

الموازين

مفهوم الحرية في الأسرة المتوازنة

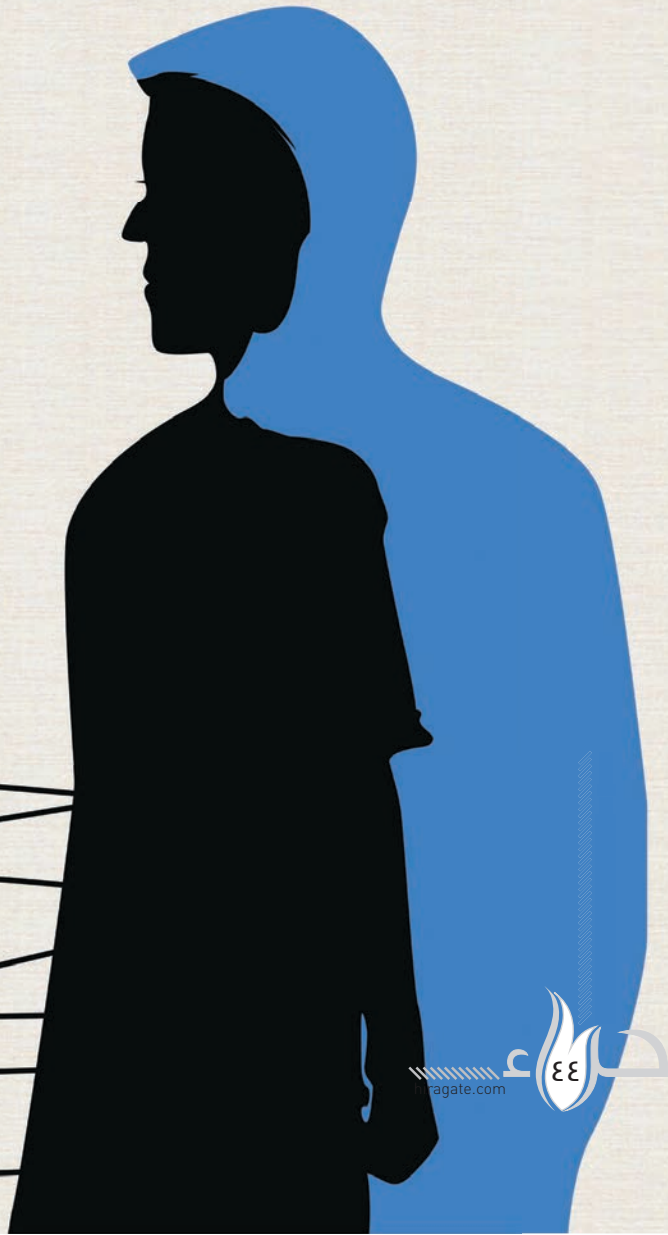

الحديث عن الأسرة اليوم يحاول أن يستنطق أنوار "لا إله إلا الله" على مستوى البناء الصحيح لعنصري الأسرة الأساسيين الذكر والأنثى. إن أهم شرط في بناء أية مؤسسة والإبداع في بنائها وتشييدها وتزيينها وإغراء الناس من حولها، هو شرط الحرية، والحرية شرط في الإبداع على مختلف المستويات.

كان المبدعون أناسًا أحرارًا سواء تنفسوا جو الحرية في محيطهم أو قاوموا جو العبودية من خلال تنسمهم لجو الحرية، وربما كانوا في قمة الحرية وهم في غل العبودية المفروضة عليهم في الظاهر، أما داخل أنفسهم فقد كانوا يرفضون أن يكونوا عبيدًا وأن يكونوا تابعين خانعين، ومن ثم كانوا مبدعين على مستوى التفكير،

على مستوى المواهب المتعددة لدى البشرية كانوا في قمة الإبداع، بل إن الكثير من المبدعين إنما أنتجوا إنتاجات موفقة ألهمت البشرية كلها، وقد نالوا من ألوان التعذيب الهمجي من قِبل المستعبدين للإنسان، الذين كانوا يرغبون في أن يعبدهم البشر من دون الله تعالى.

إن شرط الحرية هو شرط ضروري، ولا مناص من الحرية لأسرة وهي تحاول أن تبدع إبداعًا في بناء نموذج من خلال أبوين كريمين، ومن خلال إنتاج ذرية صالحة وإنسان قوي متوازن متماسك. ولقد تيسر ذلك لهذه الأسرة الحرة الأبية الكريمة بفعل إحساس كل فرد فيها بالحرية. ومقتضى أن يكون حرًّا، هو ألا يكون عبدًا إلا لمن يستحق أن يكون له عبدًا. هنا تأتي "لا اله إلا الله" التي من معانيها المقررة عند علمائنا؛ لا معبود بحق سوى الله.

لقد خلق الله الناس أحرارًا، فلا يحق للرجل أن يستعبد امرأته، ولا للمرأة أن تستعبد وتذل زوجها. إن هذين الاتجاهين من كلا الطرفين، اتجاهان صادمان متصادمان مع "لا إله إلا الله". إن الذي يصر أن يكون متكبرًا داخل الأسرة، مهيمنًا مستحوذًا، عنيدًا غلابًا يحاول المستحيل عقديًّا، إنه سيصطدم بجدار اسمه "لا إله إلا الله".

تدعوه "لا إله إلا الله" إذا كان واعيًا بمقتضياتها، إلى رفض هذا النوع من التفكير، ومن ثم يتم تبني مشروع نور "لا اله إلا الله"، والاحتكام إلى هذا المشروع الذي يجعل من الذكر والأنثى منسجمين، متوازيين، متوازنين، متحابين، متوادين متراحمين في هذا الاتجاه، سيبدعان إبداعًا رائعًا على مختلف المستويات وفي كل المجالات.

لقد كان الأولون يرفضون أن يكون الإنسان عبدًا لأحد إلا لله تعالى. لو كان جائزًا لأحد أن يتخذ إلهًا من البشر لاتخذنا محمدًا ﷺ وهو سيد البشر، ولكن محمدًا ﷺ علمنا أن نعلن ولاءنا له من خلال "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله".

وفي مواقع رائعة من السمو الروحي لرسول الله ﷺ، قرر كتاب الله تعالى هذه الحقيقة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(الإسراء:١)، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(الفرقان:١)؛ إن كون محمد ﷺ عبدًا لله، وكوننا جميعًا عبيدًا لله، فهذا يجعلنا -ذكورًا وإناثًا- في أسرنا نتنسم الحرية، فتحس المرأة -وهي تطيع زوجها- بأنها لا يمكن أن تكون أمة إلا للواحد القهار؛ إن طاعتها لزوجها ورعايتها لحقوقه، إنما تنبثق

عندما تعتنق الأسرة "لا إله إلا الله" وتحيا في إطار مناخ الحرية، تؤسس لعلاقات نموذجية وقوية وطيبة، ومن ثم كان أفضل ما قاله النبي ﷺ، وأفضل ما قاله الأنبياء السابقون: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له".

من طاعة المولى ﷻ، ذلك أن هذا القانون لم يضعه شخص اسمه زوجها، إنما وضعته شريعة مصدرها رب العالمين.. كذلك الرجل، عندما يكلف بخدمة زوجته ورعايتها وصونها، والتضحية من أجلها، والنفقة عليها وقد تكون غنية، إن هذه المطالب الشرعية إنما يقوم بها الرجل لكونه عبدًا لله الواحد القهار.

إن هذا الشعار -شعار "لا اله إلا الله"- شعار عقدي منهجي يؤطر حركة الزوجين معًا ويبني أسرة قوية مثمرة. عندما يكون الإنسان حرًا يستطيع أن يحقق مستويات راقية تثمر للحياة منفعة كبيرة، ومن ثم إذا شاء الله تعالى أن يهب لهذه الأسرة إناثًا أو ذكورًا، أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا، فإنه ﷻ سيهب هبة كاملة لأصحاب "لا اله إلا الله"، الذين رضوا أن يكون الله وحده لا شريك له ربًا لهم، وأن يكون الرسول ﷺ لهم رسولاً مبشرًا مبلغًا، يبلغهم منهج الله ﷻ، الذي يكون هو دائمًا السقف الأعلى:﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(النساء:٣٤). إذن إذا أحس الذكَر بقوته البدنية، وأنه أقوى من امرأته لأنها أنثى، فإن هذا الإحساس لا يجوز إلا أن يؤدي إلى ما هو أفظع وهو العلو والكبر.. فإن الله هو الأعلى وهو العظيم، فلا يحق لهذين الزوجين إلا أن يسبحا الله الأعلى، ويقولا "سبحان ربي الأعلى"، "سبحان ربي العظيم".

هذا المناخ التعبدي العقدي يستطيع -لو وعته الأسرة- أن ينشئ فعلاً مؤسسة تغري العالمين بالاقتداء بها مع ازدياد مظاهر العنف في العالم كله، هذا العنف الذي تعاني منه المجتمعات المتقدمة والمتخلفة بنسب متفاوتة.

الذي نخلص إليه أن الأسرة عندما تعتنق "لا إله إلا الله" وتحيا في إطار هذا المناخ -مناخ الحرية- تؤسس لعلاقات نموذجية وقوية وطيبة، ومن ثم كان أفضل ما قاله النبي ﷺ، وأفضل ما قاله إخوانه الأنبياء السابقون؛ هذه الكلمة "أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له".

الأكرم هو الأتقى

نحاول أن نتأمل بعض الإضاءات من خلال كتاب الله تعالى، المتعلقة بجانب الأسرة وبالخصوص جانب المرأة. إن الأصل في الناس أن خالقهم هو رب الناس، ملك الناس، إله الناس.. والأصل أنهم خلقوا من ذكر وأنثى.

إن هذا المصدر المشترك والجامع الرابط بين البشر كلهم -ذكورهم وإناثهم- يجعل بني آدم كلهم متجهين وجهة واحدة، مدعوين إلى أن يراجعوا كثيرًا من الأفكار المتعلقة بالأسرة وغيرها، أفكار تصطدم مع هذا الأصل الجامع المشترك.

إن القرآن عندما يقرر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات:١٣)، فإن هذا التقرير الإلهي يجب أن يعلق في كل أنحاء العالم، ذلك أن البشرية في ظل هذا النداء ترى نفسها ملزمة بأن تشطب على كل ما يتعارض مع أصل التعارف.

اللائق بالناس أن يتعارفوا، والأصل في الشعوب والأمم و المجتمعات أن تتعارف وأن تتآلف، وأن تبحث عن النقاط المشتركة، والشيء المشترك بين بني البشر على الأقل حقيقتهم؛ كلهم مخلوقون من قِبل إله واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، "كلكم لآدم وآدم من تراب"، لو أن الناس حكموا هذه القاعدة الكلية، لصححوا مفاهيم وقيم عديدة.

والذي يتأسف له الإنسان غاية الأسف، هو أن في تراثنا وفي تقاليدنا وفي أفكارنا ما يصدم هذا الأصل الإلهي المقرر من خلال هذه الآية؛ ومن أغرب ما قرأت لدى بعضهم: إن الله قد فضل الذكور على الإناث في مواضع عشرة، ثم ذكر الإرث والشهادة والطلاق، وذكر

hiragate.com

غير هذه الأمور، فقلت: مَن الذي سوغ لهذا الشخص أن يجزم بأن الله فضل الذكور على الإناث؟ وكيف غاب عنه قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾؛ الأكرم عند الله هو الأتقى.

إن مساءلة هذه الفكرة ومثيلاتها ضروري، حتى لا يقع طغيان المجتمع الذكوري الذي اغتال الأنثى وقد نجاها الكتاب من الوأد. مجتمع كان يغيب الأنوثة ويضحي بهذا الجانب، وفي سبيل ذلك يبحث عن كل ما يمكن أن يؤول من النصوص، لصالح هذا الإعلاء الذكوري وإلغاء الأنوثة، رغم أن الشريعة تخاطب الإنسان، وتخاطب الذين آمنوا بوصفهم أناسًا اختاروا قيمة هي الإيمان، تخاطب الذين كفروا من حيث إنهم أصروا على البقاء على قيمة سلبية في الحياة وهي قيمة الكفر، تخاطبهم بوصف النفاق من حيث إنه صفة خسيسة في الإنسان الذي يروغ روغان الثعالب، تناديهم باسم العباد من حيث إنهم مستحقون لأن يكرمهم الله الذي هو خالقهم وهم عبيده.

إن هذه النداءات القرآنية، وهذه الخطابات الإلهية في كتاب الله تعالى، تجعل من كل فكر يرمي إلى إلغاء جانب من جزء الإنسان -أنثى أو ذكر- يجعل هذا الفكر فكرًا يستحق منا -بعد أن نحترمه ونحترم اجتهاده- أن نناقشه وأن نسائله.

كما أن الفكر الجديد الذي قد غزا ديارنا، وقد انبهر له جيل الدهشة الحضارية فمسهم طائف من الاستلاب تحت ضغط الواقع العالمي وصرخات منظمات حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، وحقوق الطفل، وغيرها من المنظمات الناطقة بأهواء العالمين أو صنف منهم.. إن الفكر الذي يلغي الذكورة، ويجعل الأنثى هي كل شيء وتهيمن على كل شيء، إنه لا يقل خطورة في دمار البشرية وخرابها عن الفكر الذي كان يعلي من جانب الذكورة. إن الله خلق في الحياة عنصرين في الإنسان هما الذكورة والأنوثة، والحياة كلها قائمة على هذه الازدواجية، وإلغاء النوعية وإلغاء الزوجية حماقة في الحياة، وتفاهة في التفكير، ومصادرة للواقع، وإلغاء لطبيعة الأشياء.

عندما نقرأ كتاب الله ﷻ نتلمس من خلاله تصحيح أفكارنا وتجديدها؛ نلاحظ أن القرآن يضرب مثلاً للذين كفروا ويضرب مثلا للذين آمنوا: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(التحريم:١١)؛ لقد قدَّم القرآن الكريم هذه المرأة نموذجًا للذين آمنوا، ليس لكونها أنثى، بل لكونها استطاعت أن تجسد قيمًا عالية من الصبر، والوفاء، والتضحية، ومعانقة الحق، والدفاع بتحمل ضرائب التزامه.. إنها قد ابتليت بذكر، طاغ، متجبر هو فرعون، ولم تكن أبدًا -آسية لكونها أنثى- أقل شأنًا من فرعون الطاغية، بل كانت آسيةُ امرأة فرعون نموذجًا ضُرب للذين آمنوا.

وفي المقابل يضرب الله تعالى مثل الذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت زوجين صالحين، هما النبيَّان لوط ونوح عليهما السلام، ومع ذلك استطاعتا أن تثبتا رأيهما الشخصي وإن كان سلبيًّا دائمًا في هذا الاتجاه، اختارتا الكفر، واختارتا البقاء مع صف الباطل ومع صف المتكبرين، ضد الحق وأهله المتمثل في زوجيهما ومن كان تابعًا لهما.

على أية حال يمكن أن يُقرأ ما قصه القرآن من عدة زوايا، ومنها أن المرأة دائمًا تستطيع أن تثبت أن لها موقفًا، ولها موقعًا إيجابيًّا تختاره إن شاءت، وسلبيًّا تطمئن وتركن إليه وبئس ما تفعل. وفي جميع الأحوال تثبت أن لها وجودًا مستقلاً وشخصيًّا. ومن ثم كانت المرأة مدعوة دائمًا إلى تمثل هذه الاستجابة بشكل حقيقي وهائل في جميع مراحل حياة الإنسان على مختلف العصور. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

hiragate.com

د. يحيى وزيري*

المدن الساجدة

يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: "ولعل من أبرز ما يميز الأنماط المعمارية الإسلامية، أنها تتمحور في بنائها وواجهاتها وهندستها ومرتفقاتها حول وجهة أو بتعبير أدق نحو القبلة (المسجد الحرام)، أما في الأنماط العمرانية المعاصرة أو في عمران المدن الحديثة، فلا وجهة ولا قبلة، ويصعب على الإنسان المسلم، وقد يجد عناء شديدًا في تحديد القبلة، إذا خرج من المسجد وعبر الشارع، ودخل المباني المعاصرة".

إذا نظرنا للتوجه للقبلة من وجهة تأثيرها على مباني المجتمع المسلم، فإننا نجد أن التوجه للقبلة هو أحد أهم الثوابت التصميمية الخاصة بعمارة المساجد، مصداقًا لقول الله ﷻ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(البقرة:١٤٤)، فعلى ذلك يمكن أن نتخيل أن كل مسجد في شتى أنحاء المعمورة، يحتل نقطة على محيط دائرة مركزها الكعبة. وتبعًا لذلك يكون جدار القبلة هو أهم عنصر معماري في أي مسجد، وبالتالي يصبح توجيه المسجد من الوجهة التجريدية هو المحدد لشخصية المسجد وليس مجرد عناصره الأخرى المختلفة.

ما الذي يخسره العمران الإسلامي بعدم توجهه إلى القبلة؟

ربما يتبادر هذا السؤال إلى ذهن البعض، وبخاصة أن المدن والمباني في المجتمعات الإسلامية ليس لها توجيه محدد، اللهم إلا في بعض المشروعات التي تأخذ العوامل البيئية في الاعتبار، أو في المناطق المخصصة للمقابر والتي يحرص منفذوها على أن تكون هذه المقابر في اتجاه القبلة لسهولة دفن موتى المسلمين بالطريقة الشرعية.

والإجابة على السؤال السابق يمكن أن تكون ذات شقين أساسيين؛ الأول يتعلق بأشياء معنوية رمزية، والثاني يتعلق بأشياء مادية ذات أثر سلبي على عمران ومباني المجتمع الإسلامي، وسنوضح هذين الشقين فيما يلي:

أ- الأثر السلبي المعنوي والنفسي على المجتمع المسلم: لكي نتفهم ما هو الأثر المعنوي والنفسي السلبي الناتج من عدم توجيه العمران الإسلامي للقبلة،

فإنه يجب أولاً أن نوضح أنه توجد علاقة مباشرة بين أسلوب تصميم المباني وتخطيط المدن وما يحمله العمران من دلالات، وبين تكوين ثقافة أفراد المجتمع وتوجهاتهم الفكرية، وذلك أن لفن العمارة وضعًا خاصًّا ينفرد به عن باقي الفنون سواء كانت تشكيلية أو غيرها.

فالمبنى الذي يقام في المدينة سيراه كل أفراد المجتمع جميلاً كان أو قبيحًا، أراد الناس رؤيته أم لم يريدوا، كما أنه قد يزيد من جمال البيئة الحضرية أو يسيء إليها.. ومن جانب آخر، فإن العمارة تمثل واجهة صادقة لثقافة المجتمع، والتي تعتبر محصلة لتفاعل ذكاء الإنسان وفكره ووجدانه مع البيئة التي يعيش فيها.

كما أن للعمران والمباني دورًا في تشكيل وبناء الإنسان بطريق غير مباشر لا يشعر به، لذلك فإن "ونستون تشرشل" رئيس وزراء بريطانيا في عهود سابقة، له مقولة ذات دلالة في هذا السياق، وهي: "نحن نحدد أنماط مبانينا، ولكنها فيما بعد هي التي تحدد أنماط حياتنا".

وربما تتعدى أخطار العمران بما يحمله من إيحاءات ومدلولات ورموز التشكيل الوجداني، ليشمل أيضًا الجوانب الأخلاقية، ليصبح العمران انعكاسًا لأخلاق العصر الذي بني فيه، وفي هذا المعنى يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: "إن أردت أن تعرف خلق وأخلاق أي عصر، واستقامته أو آفاته في تصريف الحركة (...) فلننظر إلى المعمار في هذا العصر".

وبالرجوع للإجابة عن أثر الشق المعنوي والنفسي لعدم توجيه العمران الإسلامي للقبلة، فإننا نجد أن

إن عدم توجيه العمران الإسلامي للقبلة، يفقد المجتمع المسلم أهم عوامل تميز شخصيته وتفرده من الناحية المعنوية والنفسية، حيث يشعر كل مسلم بوحدة الاتجاه وبوجود رباط روحي دائم بينه وبين مكة المكرمة.

الإسلام يحرص كل الحرص على تميز شخصية المسلم وعدم تشبُّهه بالآخرين من أهل الملل الأخرى، للدرجة التي اعتبر فيها الإسلام أن من تشبَّه بقوم فهو منهم.. وفي شأن القبلة بالذات، فإن القرآن الكريم يؤكد على هذا التميز بين أهل الشرائع السماوية فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾(البقرة:١٤٥)؛ فالآية الكريمة توضح للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بأنه لو جاء بكل حجة وبرهان لأهل الكتاب على أن توجههم إلى المسجد الحرام في الصلاة، ما تبعوا هذه القبلة عنادًا واستكبارًا، وما هو بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض، وأن اتباع أهوائهم في شأن القبلة وغيرها بعد ما جاءه من العلم، يدخله في زمرة الظالمين، وفي هذا تهديد ووعيد لمن يتبع أهواء المخالفين لشريعة الإسلام.

لقد أوضح القرآن الكريم -في شأن التوجه للقبلة- أن أهل كل شريعة من الشرائع السماوية لهم القبلة

الخاصة بهم، وما بعضهم بتابع قبلة بعض، ومن هنا فإن عدم توجيه العمران في المجتمعات الإسلامية للقبلة، يفقد المسلمين التميز والتفرد الذي أراده الله ﷻ عن عمران ومباني أهل الشرائع الأخرى، مع علمنا بمدى حرص أهل الشرائع الأخرى على عدم اتباع قبلة المسلمين مهما ظهر لهم من الحجج والآيات البينات.

إن عدم توجيه العمران الإسلامى للقبلة، يفقد المجتمع المسلم أهم عوامل تميز شخصيته وتفرده من الناحية المعنوية والنفسية، حيث يشعر كل مسلم في أي مجتمع إسلامي بوحدة الاتجاه وبوجود رباط روحي دائم بينه وبين مكة المكرمة أم القرى، ليس في المسجد فقط أثناء أداء الصلاة، ولكن أيضًا في بيته ومكان عمله، وفي جميع المباني التي يمارس فيها أنشطته الحياتية ما أمكن تطبيق ذلك.

بـ- الأثر السلبي المادي على العمران والبنيان: أما إذا أردنا أن نعرف كيف يمكن أن يؤثر عدم التوجه للقبلة بطريقة سلبية على العمران والبنيان، فإننا يجب أن نرجع إلى بعض الدراسات البحثية الحديثة والتي يمكن أن توضح هذه الجوانب السلبية.

ففي دراسة حديثة أجريت على ثمانية عشر مسجدًا في مدينة "مومباي" بالهند، وجد أنه نتيجة عدم توجيه وتخطيط شوارع المدينة للقبلة، فإن هذا أدى إلى انحراف مدخل هذه المساجد عن حائط القبلة بعدة درجات تتراوح ما بين ٢ درجة و١٨٠ درجة.

إن الدراسة السابقة لا تمثل حالة خاصة بمدينة "مومباي" بالهند، لأنه بالنظر إلى المخططات العمرانية الحديثة في العالم الإسلامي، يلاحظ في كثير من الأحيان تعارض اتجاه حائط القبلة مع باقي أضلاع قطعة الأرض المخصصة له، والتي تعتبر جزءًا من المخطط الشبكي للمدينة ككل، وهو أسلوب تخطيطي يختلف عن التخطيط المتضام الذي كان متبعًا في المدن الإسلامية القديمة، وهذه الحالة تنطبق مع العديد من المساجد في الأحياء الحديثة من مدن العالم الإسلامي.

ويظهر الأثر السلبي لظاهرة عدم توجيه شوارع ومباني المدن الإسلامية لاتجاه القبلة بصورة أكبر في المساجد صغيرة المساحة أو المخصصة لأداء الصلوات اليومية، حيث إن تعارض اتجاه حائط القبلة مع باقي أضلاع قطعة الأرض المخصصة للمسجد، تؤدي إلى عدم تعامد الحائطين الجانبيين على حائط القبلة، مما يفقد المصلي داخل هذه المساجد الإحساس باتجاه القبلة، كما يؤثر على شكل الفراغ الداخلي لقاعة الصلاة غير المنتظمة الأضلاع، كما يؤدي في غالب الأحيان إلى قصر الصفوف الأولى للمصلين الأقرب إلى جدار القبلة، مقارنة ببعض الصفوف الأخرى الأبعد عن جدار القبلة.

وما ينطبق على المساجد ينطبق على باقي مباني المدن المعاصرة، ولكن بصورة ربما تكون أكثر سلبية، حيث لا يمكن التعرف على اتجاه القبلة داخل هذه المباني إلا بشق الأنفس، وفي بعض الأحيان بأساليب يغلب عليها عدم الدقة.. وعانى الكثير من المسلمين إذا أراد الصلاة في بيته أو في غيره من المباني العامة الأخرى من تعارض أسلوب فرش الأثاث الداخلي مع وضع سجادة الصلاة جهة القبلة، كما أن عدم توجيه بيوت ومباني المسلمين جهة القبلة، جعلت المسلمين في بيوتهم ومبانيهم العامة، يفقدون ميزة التوجه للقبلة أثناء الدعاء خارج الصلاة، أو قراءة القرآن الكريم، أو تلقي دروس العلم النافع وما شابه.

الخلاصة

إن الدارس لنمط عمران العديد من المدن الإسلامية قديمًا، يجد أنه بمجرد بناء المسجد وتوجيهه إلى مكة المكرمة حيث القبلة، فإن كل الشوارع والمباني المحيطة به تأخذ نفس الاتجاه، ومثال ذلك المسجد الأموي في دمشق وما حوله من شوارع ومباني، ومسجد عقبة بن نافع بالقيروان في تونس وغيرها.

إن العودة إلى توجيه المدن والمباني في المدن الإسلامية المعاصرة إلى القبلة، هو عودة إلى الأصل، حيث كانت المدينة كلها بمساجدها وأغلب شوارعها ومبانيها تتجه إلى القبلة، لذلك استحقت تلك المدن أن يطلق عليها مسمى "المدن الساجدة"، حيث يسجد الإنسان والعمران خضوعًا لله ولشرعه وشريعته. ■

(*) كلية الآثار، جامعة القاهرة / مصر.

hiragate.com

د. فيث أبوت*

مستقبل ثلاثي الأبعاد

إن اكتشاف الطباعة ثلاثية الأبعاد يعدُّ انعطافة كبيرة في مجال تصميم الأدوات وإنتاجها، وعلى الرغم من أن هذه الانعطافة تمنح الفُرَص الإيجابية في الحياة، إلا أنها تكشف -في الوقت ذاته- عن بعض السلبيات والمخاطر غير المتوقَّعة على حياة الإنسانية.

أبناؤك يطبعون في غرفتهم اللعبة الجديدة -هي الروبوت المتحوِّل- بطابعة ثلاثية الأبعاد.. اِبنتُك، تطلب الفستان الذي تراه على شبكة الإنترنت بأبعاده الثلاثية.. وغيرها من الأمور التي تبدو خيالية إلى حدٍّ ما في واقعنا.. واعلمْ أنه مضى حوالي خمس سنوات، على استبدال معظم أواني الطبخ بثلاثية الأبعاد؛ حيث تم اكتشاف طابعات طعامٍ محمولة بثلاثية الأبعاد (ICOOK3D) تقدِّم تشكيلات من الطعام وبنكهاتٍ عديدة أو تنفث أحبارًا صالحة للأكل تكفي لثلاثة أشهر.. وقد يبدو السرور على ملامح جيرانك الجدد وهم يعيشون في منزلهم المطبوع بثلاثي الأبعاد، بينما أنت حزين لأنهم نسخوا بيتك الجميل الذي بذلت قصارى جهدك لبنائه بتصاميم فريدة متميزة.. وعلى شاشة تلفازك الثلاثي الأبعاد، الذي اشتريتَه

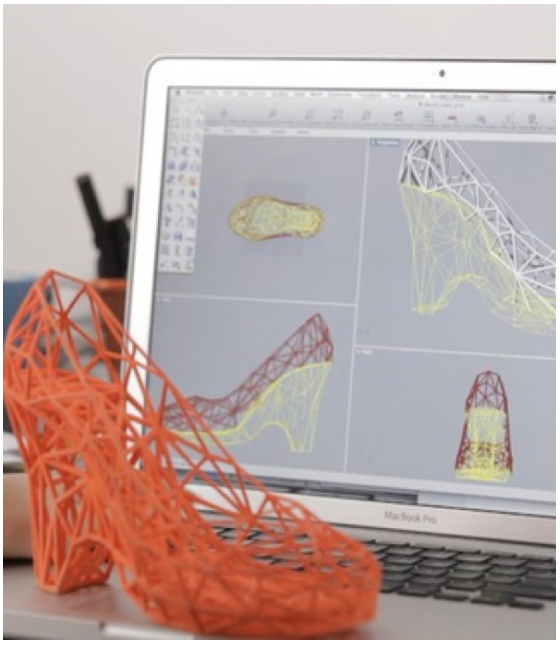

الأسبوع الماضي من متجر الطباعة، تشاهد نشرة الأخبار التي تنقل لك نبأ التحقيقات التي أجراها رجال الأمن حول عضو حي طُبع بثلاثي الأبعاد في السوق السوداء.

قد تظن أن ذلك كله فيلمًا خياليًا، ولكن نقول إن الإنسانية بالفعل، قطعت أشواطًا كبيرة في سبيل تحقيق هذا الحلم والخيال العلمي. إن الطباعة ثلاثية الأبعاد (أو التصنيع المضاف)، هي عملية تصنيع أدوات ثلاثية الأبعاد من صورة رقمية على الحاسوب، وذلك باستخدام مواد البلاستيك أو المعدن. وبينما تعتمد تقنيات التصنيع المضاف التقليدية (العمليات الطرحية) على إزالة المواد عن طريق الحفر أو القطع، فإن الطباعة ثلاثية الأبعاد تعتمد على تقنية الإضافة في العمل، فتصنع أداة عن طريق إضافة طبقات متتالية من المواد. ولا شك أن هذه التقنية ستتيح للجماهير، الحصول على العديد من الأفكار والأدوات الجديدة وبطريقة أسرع.

وبالتالي يرى العلماء والباحثون أن الطباعة ثلاثية الأبعاد ستحدث -في الأمد القريب- ثورة جذرية في حياتنا اليومية؛ من التصنيع والنقل إلى التسوق والاستهلاك إلى أشياء عديدة لم تخطر على بال بشر. وقد بدأ العلماء بالفعل أن يتناولوا التغيرات التي ستحدث مستقبلاً، ويدرسوا مدى تأثيرها على مجتمعاتنا وحياتنا الصحية وعاداتنا اليومية.

ودعونا نبدأ أولاً بالتصنيع.. تتيح الطباعة ثلاثية الأبعاد نماذج أولية رخيصة، وتتيح كذلك إنشاء منتجات دقيق للغاية. وبينما كان الصانعون يستخدمون الطباعة ثلاثية الأبعاد في نمذجة تصاميمهم لسنوات، فإننا نتوقع أن نرى آلات طباعة ثلاثية الأبعاد في المصانع على المدى القريب جدًّا لتسريع هذه العملية. ثمة بعض المكونات المخصصة للغاية يتم إنتاجها بأسعار معقولة وبعدد أكبر على طابعات ثلاثية الأبعاد، وذلك لأن قدرات هذه الطابعات تحسنت على مدى السنوات الخمس الماضية، وبدأت المصانع تقوم بدمج عمليات التصنيع الهجينة من خلال دمج الطباعة ثلاثية الأبعاد في خط الإنتاج وسلاسل التوريد.

هذا ويمكن تقليص خطوط التجميع وسلاسل التوريد في العديد من المنتجات، بمساعدة الطباعة ثلاثية الأبعاد؛ حيث يمكن طباعة الهياكل المعقدة والتصاميم بخطوة واحدة، ومن ثم القضاء على عمليات التصنيع المنفصلة، وعلى الشحن، وتجميع الآلاف من الأجزاء الصغيرة للمنتجات مثل السيارات، كما يمكن تصنيع المنتجات وقطع الغيار عند الطلب، مما يجنبنا الحاجة إلى بناء مخزون، وبذلك ستكون مرافق التصنيع قادرة على

طباعة مجموعة واسعة من المنتجات دون إعادة تجهيز.

وبالتالي سيصبح التخصيص هو القاعدة الأساسية في التصنيع؛ حيث يتم تخصيص المنتجات ليس فقط من خلال السماح لك بنقش اسمك عليها، بل من خلال توفير خيار لتغيير الحجم واللون والشكل وبيئة العمل أيضًا.

وفي هذا الصدد قامت شركة نايكي (Nike) باستخدام الطباعة ثلاثية الأبعاد لتصنيع منتجاتها النهائية، ويعتبر حذاء فيبور ليزر تالون -لشركة نايكي- هو أخفّ حذاء لكرة القدم في العالم وزنه (١٥٩ جرامًا مع الرباط)، وقد تم إنتاجه باستخدام تلبيد انتقائي بالليزر. كما ستتيح الطباعة ثلاثية الأبعاد، المنتجات المخصصة بدرجة عالية، مثل الأحذية التي تناسب تمامًا الهيكل ثلاثي الأبعاد الممسوح ضوئيًا لأقدام العميل.

ومن الواضح أن الطباعة ثلاثية الأبعاد ستحسن دورة الابتكار وتبسط المسار من التصميم إلى المنتج النهائي، ومن ثم ستوفر النماذجُ الأولية السريعة -المصنوعة بالطابعات ثلاثية الأبعاد- الوقتَ لتحويل التصميم أو المفهوم إلى منتج نهائي، وذلك من خلال السماح للمصممين باختبار العديد من المفاهيم أثناء استخدام موارد محدودة. وهذا بطبيعة الحال سيحسن جميع

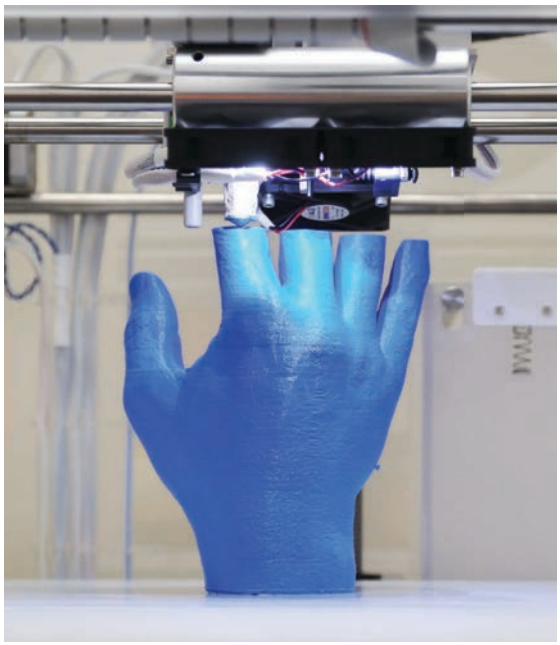

خطوات دورة التصنيع؛ من التصميم إلى الإنتاج، ومن التعديل إلى إعادة الإنتاج.. وبفضل الاستخدام الأكثر كفاءة للمواد الخامة، سيتم توفير انبعاثات الكربون من منتج معين، والحد من كمية الطاقة المستخدمة، وتقليل الحاجة لشحن المنتجات إلى كافة أرجاء العالم.

ومما لا شك فيه أن ظهور الطباعة ثلاثية الأبعاد، سيتيح لمحلات الطباعة أيضًا فرصة العمل في مراكز التسوق الكبيرة، ولا سيما فرصة عرض الطباعة التي تقدِّم خدمات عبر الإنترنت وتصنِّع المادة بثلاثية الأبعاد مباشرة، وهذا بطبيعة الحال سيشجع على استخدام هذه الآلية بتحميل تصميم وفق مزاجك، أو تحديد المواد وخيارات الإنتاج الخاصة بك، أو طلب طباعة منتج خاص بك لالتقاطه من المتجر المحلي الخاص بك، أو حتى أن يتم شحنه مباشرة إلى منزلك.. وبالتالي سيتمكن تجار التجزئة من التركيز على بيع التصاميم باستخدام منصات الشبكة التفاعلية التي تسمح لك ابتكار تصميم جديد، أو تخصيص التصاميم المختارة.

ومع المزيد من المواد المعتمدة في الطباعة ثلاثية الأبعاد عالية الدقة (البلاستيك والخشب والسيراميك والمعادن وغيرها)، فإن الإصلاحات سوف تكون أسهل وبأسعار أنسب من أي وقت مضى.. وبدلاً من طلب أجزاء، أو استبدال المعدات، أو البحث عن ورشة

للتصليح، ستجد الإمكانية في طلب أجزاء أو تصاميم على الإنترنت لتطبعها في بيتك بثلاثية الأبعاد.

ومن الملفت للنظر أن تقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد الحديثة تقدِّم إمكانية الطباعة المجهرية بدقة النانو، وهي أسرع بمئة مرة من عمليات الطباعة التقليدية. كما أن الطباعة ثلاثية الأبعاد لا تُنتِج القطع المعدنية، وهذا ما يجعلها تقوم بدور مهم في تقليل النفايات المادية وتوفير الطاقة؛ فمثلاً، نقوم بالتحليق على متن طائرات بها أجزاء مطبوعة ثلاثية الأبعاد، وهذا -بطبيعة الحال- يجعل الطائرة أخف وزنًا وأكثر كفاءة في استهلاك الوقود. والجدير بالذكر أن وكالة ناسا الفضائية، تقوم باختبار طابعات ثلاثية الأبعاد في الفضاء، وذلك لبناء وإصلاح المركبات الفضائية والأقمار الصناعية.

قام مجموعة من الباحثين بتطوير مادة من البلاستيك الموصل تسمى "كاربومورف"، وهي مادة رخيصة وقابلة للطباعة، ويمكن تحميلها في معظم الطابعات ثلاثية الأبعاد في السوق. كما أن مادة الكاربومورف هذه، تمكِّن من طباعة الأشياء ثلاثية الأبعاد؛ مثل وحدات تحكم اللعبة كاملة مع المسارات الإلكترونية، وأجهزة الاستشعار، والمناطق التي تعمل باللمس.

وليس ببعيد أن تُحدث الطباعة ثلاثية الأبعاد تغييرًا في فضاء التعليم؛ إذ ربما سيقوم المعلم بتكليف الطالب بمهام طباعة ثلاثية الأبعاد في فصول العلوم أو الفنون، ليتمكن من تدريس الأشكال الهندسية المعقدة، أو من مساعدة الطلاب على فهم بنية الجزيء بشكل أفضل.

وعليه، يمكن للطلاب تطوير فكرةٍ والقيام بتصميمها ثم تحويلها إلى حقيقة عن طريق الطباعة ثلاثية الأبعاد. وثمة عدد من المدارس المتوسطة والثانوية في الولايات المتحدة، مجهزة -بالفعل- بطابعات ثلاثية الأبعاد؛ حيث يتم في بعض المقررات دراسة المواد وكيفية دمجها بالطباعة ثلاثية الأبعاد، بل ويتم استخدام قلم الطباعة ثلاثية الأبعاد، ليتمكَّن الطالب من الطباعة على الهواء، ويجمع بين التصميم والإنتاج في آن واحد.

والحق يقال إن الفائدة الكبرى للطباعة ثلاثية الأبعاد نجدها في مجال الصحة؛ حيث بادرت الزراعة الطبية إلى استخدام الطباعة ثلاثية الأبعاد لتحسين صحة الإنسان، وذلك من خلال زراعة العظام والأعضاء الصناعية، بالإضافة إلى الأجهزة الطبية المناسبة والأدوية الشخصية الملائمة.. بل ثمة بحوث ودراسات مستمرة حول الإمكانية في طباعة الأنسجة الرخوة، والجلد، والشرايين والأوردة.

وما زال الدارسون يبحثون عن طريقة تغنيهم عن الحاجة إلى التبرع بالأعضاء، كما لا زالوا يبحثون عن سبل تمكِّنهم من الوصول إلى طباعة أعضاء ثلاثية الأبعاد تناسب جسم الإنسان وتتكيف معه بسرعة. وقد وصلوا خلال بحوثهم إلى ما يسمى بـ"التصنيع الحيوي"؛ وهو طباعة الأعضاء باستخدام الخلايا الحية (الحبر الحيوي) بدلاً من الحبر. ومن ثم وجدوا طابعات تستخدم صمامات متخصصة، للسيطرة على معدل الخلايا المتحررة ووضعها في بنية ثلاثية الأبعاد. والجدير بالاهتمام أن هذه الطابعات قادرة على طباعة الملايين من الخلايا في الدقيقة الواحدة. ولعله في المستقبل القريب، ستكون الأنسجة والأعضاء المطبوعة متاحة في المختبرات للبحث، وإنها من المأمول أن تحل محل زرع الأعضاء.

هذا وتم استخدام الطباعة ثلاثية الأبعاد -كذلك- في تصميم البندقيات والأسلحة، مما يعني أن الأسلحة ستكون متاحة للجميع بتحميلها وطباعتها بطابعات ثلاثية الأبعاد. وبهذه التقنية نجح العلماء مؤخرًا بطبع بندقيات لها مخزن بسعة ٣٠ طلقة بعيار ١٥ ملم، مما سبب قلقًا كبيرًا لدى الآخرين على سلامة الإنسانية وأمنها.

ولكن على الرغم من هذه السلبيات وغيرها من المشاكل غير المتوقعة، يمكن القول بأن الطباعة ثلاثية الأبعاد ستظل موضع اهتمام يدور حوله العلماء والباحثون للإتيان بالكشوفات الجديدة والابتكارات، في مجال الطب والعلوم والتكنولوجيا والتعليم.. تمامًا كما أحدث جهاز الحاسوب والإنترنت تغيرات جذرية على مدى العشرين سنة الماضية. ونحن بحاجة إلى وجود مَن يدعم هذه الابتكارات مع معالجة المخاوف التي تصاحب التغيرات. ■

(*) كاتب وباحث متخصص في مجال الصحة / الولايات المتحدة الأمريكية. الترجمة عن الإنجليزية: بدران حامد.

hiragate.com

سنان يورولماز*

جُحا الأتراك
فكاهات بطعم الحكمة

نصر الدين خوجا (أو جُحا كما يسمى في العالم العربي) شخصية عالمية لدى الأمم والشعوب، ويعدُّ في طليعة أصحاب النوادر الشعبية، الذين يُظهرون طرافةَ وسماحةَ وعقلية الشعب. نصر الدين خوجا معروف لدى شعوب كثيرة من العالم -وعلى رأسهم العالم التركي في الأناضول وآسيا الوسطى- بعبقريته الفذة وذكائه الخارق في حلِّ المشاكل المعقدة بأسلوبه الطريف الظريف. إنه يُضحك الناس بإجاباته اللطيفة ومواقفه الطريفة، وفي الوقت نفسه يسوقهم إلى التأمل والتفكير حول الحدث.

وُلد نصر الدين خوجا عام ١٢٠٨م في منطقة "سِفري حصار" (Sivrihisar) التابعة لمدينة "أسكي شهير" (Eskişehir) بتركيا، ووالده الشيخ عبد الله أفندي كان يعمل إمامًا في قرية "خورتو" (Hortu). تتلمذ نصر الدين على يدي أبيه في مطلع شبابه وتلقى العلم منه، ثم انتقل بعد ذلك إلى "سيفري حصار" ليتتلمذ على أيدي شيوخ مشهورين في ذلك الوقت. وبعد وفاة أبيه عاد إلى قريته وأصبح إمامًا في مسجده. ومع حلول عام ١٢٣٧م انتقل نصر الدين خوجا إلى "آق شهير" (Akşehir) التابعة لمدينة "قونيا" (Konya) وسط تركيا، وواظب هنا على دروس المشايخ وعلى رأسهم الشيخ "سيد محمود الحيراني" والشيخ "سيد حاج إبراهيم".

تذكر الروايات أن نصر الدين خوجا درَّس في بعض المدارس التقليدية، وتولّى منصب القاضي فترةً من الزمن. وبسبب هذه الوظائف التي اشتغل بها لقِّب بـ"خواجا" التي تعني باللغة الفارسية "المعلِّم" و"المدرِّس" و"السيد"، ثم تحولت الكلمة إلى "خوجا" في اللغة التركية وهي بنفس المعنى. أما المعلومات المتوفرة عن حياته مختلطة بعض الشيء بين الصحة والخيال، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى حب الشعب له واحترامهم لشخصه.

كان نصر الدين خوجا رجلاً متبحرًا في العلوم، راسخًا بالربط بينها وبين العقيدة الإسلامية، متحليًا بالأخلاق والفضيلة.. تَضعه بعض المصادر بين أولياء الله الصالحين بالثقافة الروحية التي تحلَّى بها والحياة المتميزة التي عاشها، وقد سمَّاه الرحالة التركي "أوليا شلبي" في كتابه الشهير "سياحتْ نامه" بـ"الحكيم العظيم".

توفي نصر الدين خوجا عام ١٢٨٤م في "آق شهير" ودُفن فيها، وقد نُقش على شاهد قبره: "العمل باق، والعمر فان.. العبد مذنب والرب غفَّار".

وجدير بالذكر أن لطائف نصر الدين خوجا وثيقة الصلة بالحياة الفردية والاجتماعية، أي إنها تشمل كافة مناحي الحياة، وفي أغلبها نجد التصرفات الإيجابية والسلوكيات الإرشادية الممزوجة بالفكاهة والمزاح.

كان نصر الدين خوجا بمثابة ترجمان لمشاعر الشعب، حيث يحلّ مشاكلهم بكل بساطة وبطريقة عملية؛ وذلك بمواقفه حيال الأحداث، ومهارة انتقاده للوقائع، ولغته البسيطة السهلة على الفهم. وليس ما يقوم به -في حقيقة الأمر- مكر أو خديعة، بل هو دهاء يسوق المخاطَب إلى الصدق ويوجهه إلى الخير والجمال.

ومن أهم المزايا التي تحلَّت بها نوادر نصر الدين خوجا؛ الوضوح، والإيجاز، والبلاغة، والتجنُّب عن التكلف اللغوي.. ومن ثم تعتبر طرائفه مراجع غنية لكثير من العبارات اللغوية الشعبية.. ورغم قِصر الحوارات الواردة فيها، إلا أنها مليئة بالعِبَر والحكم التي يستفيد منها الصغير والكبير.

ومن نوادره التي تنتقد أولئك الذين يهتمون بالمظاهر فقط؛ أنه كان مدعوًّا عند وجهاء القوم، فظن أن الدعوة عادية وذهب بزيِّه العادي، فلم يدخله البواب محتجًّا بأن الدعوة للأغنياء فقط.. عاد نصر الدين خوجا إلى بيته وارتدى أفخم ما عنده من الملابس ثم عاد إلى الحفلة، عندما رآه البواب أدخله بكل ترحيب.. ولكن عندما قدَّموا له الطعام، أخذ نصر الدين خوجا يغمس طرف عباءته في الأطباق ويقول: "كُلِي يا عباءتي كلي، فأنت المدعوة ولست أنا".

وفي موقف آخر ينتقد نصر الدين خوجا ابتعاد الناس عن المعقولية لصالح منافعهم الشخصية: استعار الشيخ نصر الدين حَلَّة كبيرة من جاره، وبعد فترة أعادها إليه وفيها حَلَّة صغيرة.. سأله الجار: وما هذه؟ قال: هي ابنتها التي ولدتْها.. أخذها الرجل مسرورًا ولم ينبس بكلمة.. وبعد أيام عاد الشيخ نصر الدين ليستعير الحَلَّة مرة أخرى فأعطاه الجار إياها بفرح.. ولكن الشيخ تأخر في إعادتها هذه المرة.. ذهب الجار إليه يسأله عنها، فقال الشيخ نصر الدين: البقية في حياتك يا جار، ماتت الحَلَّة! قال الجار مذهولاً: وهل الحَلَّة تموت!؟ فقال نصر الدين خوجا بأسف: مَن يَلِد يموت يا جار.. وغيرها من النوادر التي جعلت من نصر الدين خوجا رمزًا يمثِّل عقلية الشعب وطريقة تفكيره في الحياة.

ولقد أُلف الكثير من الكتب حول نوادر نصر الدين خوجا، إلا أن بعضها ركَّزت على الجوانب الروحية والمعنوية فيها.. من هذه المؤلفات ما دوَّنه السيد "برهان الدين شلبي" من أحفاد مولانا جلال الدين الرومي بعنوان

hiragate.com

"الترجمة البرهانية مع نوادر نصر الدين خوجا الحِكمية".

ومعلوم لدى الجميع، أن الشيخ نصر الدين ركب على الحمار يومًا بالمقلوب.. فلما سأله الناس عن السبب، أجابهم: إذا جلست إلى الأمام أصبحتم خلفي، وإذا سرتم أمامي أصبحت خلفكم، ولذلك أعتقد أن ركوبي بهذا الشكل أفضل أدبًا.. ولعل الشيخ نصر الدين في هذه النادرة، يذكّرنا بالتواضع الجم واحترام الآخر وتقديره أيًّا كان.

في بعض لطائفه يشبّه نصر الدين خوجا الدنيا بـ"العجوز"، ولكن جاذبيتها تخدع المرء وتجعله يبيع نفسه لها. ومن أشهر طرائفه في هذا الباب أن أحدًا رأى الشيخ نصر الدين يجلس على طرف بحيرة حاملاً بيده إناء فيه زبادي. فسأله: ماذا تفعل يا شيخنا؟ أجاب: أُختِّر البحيرة بالزبادي. ذُهل الرجل وقال: وهل تختر البحيرة؟ أجاب الشيخ: وماذا لو تخثَّرت!؟ وقد فسَّر المؤلفون هذا الفعل من الشيخ نصر الدين، أنه على الإنسان ألاَّ يملَّ من دعوة الناس مهما بدا الأمر مستحيلاً.

وفي نادرة أخرى يقوم الشيخ نصر الدين بتعليق الدقيق على الحبل وهو أمر مستحيل، وقد قال الواعون بأن هذه المبادرة من الشيخ، تشير إلى إسراف العمر في أمور تافهة، وإلى السعي وراء عمل لا يثمر ولا يغني من جوع.

وفي لطيفة أخرى: يرى نصر الدين خوجا في المنام أن رجلاً أعطاه تسعة دراهم، ولكنه يصرُّ أن يزيدها إلى عشرة.. وبينما هو يساوم الرجل يستيقظ فإذا به فارغ اليدين.. يعود فيغمض عينيه بسرعة ويمد يده قائلاً: لا بأس من التسعة هاتها. وأما التفسير لهذه اللطيفة هو أن الدنيا زائلة مثل الحلم، والجرْي وراء مكاسب دنيوية بالشجار خيبة وخسارة، وعلى الإنسان أن ينفق وهو فيها، حتى إذا استيقظ لا يكون فارغ الأيدي.

وجدير بالذكر أن نوادر الشيخ نصر الدين لفتت أنظار الغرب. وعندما درسوا هذه النوادر دراسة دقيقة، وجدوا أن هناك تشابهًا كبيرًا بين طرائف نصر الدين خوجا وبعض طرائفهم. حتى إن الكاريكاتيريين في الغرب تأثروا بنصر الدين خوجا كثيرًا وحاكوا طرفه بالكاريكاتير، منها الطرفة التي تقول إن الشيخ نصر الدين ركب حماره يومًا ووضع جعبته على كتفه، وعندما سألوه عن السبب قال: أشفقتُ

إن الغاية المتوخاة في نوادر نصر الدين خوجا، إدخار السرور إلى قلوب الناس ورسم الابتسامة على وجوههم من جانب، ومن جانب آخر دفعُهم إلى التأمل والتدبر والتفكير في هذا الكون الشاسع.

على الحمار؛ كفاني أنه يحملني ولا داعي لأن يحمل جعبتي أيضًا؛ وقد قام فنان فرنسي بمحاكاة هذا المشهد، حيث رسم رجلاً على ميزان يحمل معطفه على ذراعه ويقول متعجبًا: مع أنني خلعت معطفي لمَ لمْ يتغير وزني يا ترى؟

إن الفكاهة عنصر أساسي في أدبيات الشيخ نصر الدين، تمامًا مثل الموسيقى التي تعدُّ ركيزة أساسية في أدبيات مولانا جلال الدين الرومي في إرشاداته وتعاليمه، كما أن الفكاهة عند الشيخ نصرالدين تزخر بالحكم الدينية والقيم الأخلاقية والأدبية.

نعم، نوادر نصر الدين خوجا تزخر بالدروس والموعظة والعبر من خلال المزاح؛ ورسائله هادفة منبثقة من ثقافته المعنوية. إذ عندما نتناول مرحلة تلقِّيه العلم ووظائفه التي مارسها، نجده يتمتع بخلفية رصينة من العلم والمعرفة، وقدرة كبيرة على إرشاد الناس بهذه الخصال.

إن اهتمام المصادر التراثية بنوادر نصر الدين خوجا، وبذل الجهود إلى إخراج الحكم والدروس المختبئة في ثناياها، ثم انتقال هذه النوادر على أفواه الأجيال جيلاً بعد جيل.. كل ذلك دليل على حب الناس لنصر الدين خوجا وإقبالهم الجمّ على تراثه، وتبنّيهم ميراثه.

وفي الأخير نقول إن الغاية المتوخاة من نوادر نصر الدين خوجا؛ إدخار السرور إلى قلوب الناس ورسم الابتسامة على وجوههم من جانب، ومن جانب آخر دفعُهم إلى التأمل والتدبر والتفكير في هذا الكون الشاسع. ومن الخطأ جدًّا أن ننظر إلى هذه النوادر الثمينة على أنها مجرد قيل وقال تُضحك السامع وتمتّعه، بل يجب النظر إليها بعين الفاهم الواعي الراغب في إصلاح أمر دينه ودنياه. ■

(*) كاتب وباحث تركي.

hiragate.com

د. جيل كارول*

كنْ في الطليعة وأَنجز أعظم الأعمال، وأثناء توزيع الجوائز تراجع إلى الوراء واختفِ عن الأنظار.

الموازين

الفلسفة التربوية من سقراط إلى كولن

يأتي كولن -في إطار إسلامي تَفصله قرون عديدة عن كونفوشيوس وسقراط- ليقدم نظرية مشابِهة كثيرًا في التعليم والروح والتنمية الإنسانية، حيث ينظر إلى النفس الإنسانية -مثل زميله القديم- باعتبارها كيانًا يشتمل على مكونات جسدية وعقلية وروحية. وكلُّ مكون من هذه المكونات يجب تنميته بشكل سليم لبلوغ أقصى الإمكانات البشرية، وهذه التنمية تحدث من خلال التعليم.

عقل وجسم وقلب

يقول كولن: "إن الإنسان ليس مخلوقًا يتكون من جسم فقط أو عقل فقط أو مشاعر فقط أو روح فقط، بل هو عبارة عن مزيج منسجم من كل هذه العناصر. فكلٌّ منَّا له جسم ينطوي على مجموعة متشابكة من الحاجات، وكذا عقلٌ له حاجات أكثر دقة وحيوية من الجسم، وتسيطر على هذا العقل مخاوف بشأن الماضي والمستقبل (...) كما أن كل إنسان هو مخلوق مكوَّن من مشاعر لا تكتفي بالعقل، ومن وروح نكتسب من خلالها هويتنا الإنسانية الفعلية. فكل فردٍ هو هذا كله معًا، وعندما يُنظر إلى الإنسان -رجلاً كان أو امرأة، وهو الذي يدور حوله كل شيء من جهود وأنظمة- باعتباره مخلوقًا يحمل كل هذه الجوانب، وعندما يتم تلبية كل حاجاته، فإنه سيصل إلى السعادة الحقيقية. وفي اللحظة الراهنة، لا يمكن تحقيق التقدم والتطور الإنساني الحقيقي فيما يتعلق بكيانه الأساسي، إلا بالتعليم".

هنا، نرى تشابهًا مع تعريف سقراط للنفس الإنسانية بتقسيمها إلى ثلاثة جوانب متمايزة: العقل أو الروح، والدوافع، والجسد. وكل هذه الأجزاء يجب أن يتم تنميتها بشكل سليم، ويجب أن تعمل في نظامها الصحيح داخل الإنسان لبلوغ كمال الإنسانية. ويُبدي كولن رأيًا مماثلاً في هذه الفقرة، وهو أن كل رجل أو امرأة عبارة عن تركيبة معقدة من المكونات التي يجب تنميتها في نفسها، والتي يجب تنظيمها بشكل متآلف ومنسجم داخل النفس لتحقيق التقدم الإنساني.

المادية الغربية

هذه الفقرة وغيرها من الفقرات المشابهة، تشكل جزءًا من مناقشة أوسع للتاريخ يتتبع فيها كولن مراحل تطور الحضارات سواء في الشرق أو الغرب، فيقول: "رغم هيمنة الحضارة الغربية على العالم في القرون الماضية وصدارتها في مجالات العلم والتكنولوجيا، فإن نظرة الغرب الحديث إلى العالم، هي نظرة مادية وبالتالي فهي قاصرة، ذلك أن الفكر الغربي يتعامل مع البشر بمنظور شديد المادية، ويسعى لتحقيق الإنجاز الإنساني من ذلك المنظور الضيق، في حين أنه يضحّي بالأبعاد الأخرى للإنسان وهي الأبعاد

لا تشمل رؤية كولن التربويةُ المدارسَ وحدها، بل أيضًا الأسر والمجتمعات والإعلام؛ فكل المكونات الرئيسية للمجتمع، يجب حشدها من أجل تعليم الشباب وإكسابهم جميع المعارف والمعلومات المفيدة، لأن مستقبل أي أمة أو حضارة يتوقف على شبابها.

الروحية، وهذه التضحية أدَّت إلى العديد من الأزمات الاجتماعية. ويتلخص جزء من رؤية كولن للمستقبل في الجمع بين أفضل ما في الثقافة الغربية -وهو التطور العلمي والتكنولوجي- وأفضل ما في الثقافة الشرقية -وهو القيم الروحية والأخلاقية- لإيجاد ثقافة إنسانية أكثر تطورًا وشمولية تنقل هذا الواقع بأكمله إلى عصر جديد".

التعليم.. محور الحياة

ويرى كولن -مثل سقراط وكونفوشيوس- أن أي فرد أو مجتمع، لا يمكنه بلوغ أقصى إمكاناته بدون التعليم، فهو يعتبر التعليم الوسيلة التي يصبح بها الناس كما أرادهم الله حين خلقهم، ومن ثم فإن التعلم هو أهم الواجبات في الحياة، يقول كولن:

"الواجب أو الغرض الرئيسي للحياة الإنسانية، هو السعي من أجل المعرفة الإلهية، وما يُبذل من جهد في سبيل ذلك -وهو ما نطلق عليه التعليم- هو عبارة عن عملية سعي نحو الكمال نكتسب من خلالها -في كل الأبعاد الروحية والفكرية والجسدية لذواتنا- المكانةَ التي حُددت لنا كأكمل نموذج للخَلْق. وواجبُنا الرئيسي في الحياة، هو اكتساب الكمال والنقاء في تفكيرنا وتصوراتنا وإيماننا. وبأداء واجبنا في العبودية للخالق الرازق الحفيظ، وبمحاولة إدراك سر الخلق من خلال ما لدينا من قدرات وإمكانات، فإننا نسعى لبلوغ مكانة الإنسانية الحقة، والفوز بالنعيم والخلود في عالم آخر أكثر سموًّا".

هنا، يضع كولن التعليم والتعلم في صلب الغرض الأساسي من الوجود الإنساني، وبتعبير آخر، إن الهدف من حياة الإنسان هو أن يصبح إنسانًا كاملاً، وهذا لا يتم إلا بطلب العلم والمعرفة. وكولن -كمسلم- يضع هذا الأمر ضمن السياق الأكبر للعبودية لله، ولكن يمكن

hiragate.com

بنفس البساطة أن نصوغه في سياق أكثر اتفاقًا مع فكر أرسطو؛ وهو أن غرض كل شيء ووظيفته، هي أن يكون هو نفسه بكل كماله واكتماله، وكل شيء بطبيعته مزودًا بالقدرات والعناصر الداخلية التي تجعله هو نفسه بشكل كامل إذا توافر الإطار الملائم. فالبشر يولدون، ولديهم القدرة على أن يصبحوا بشرًا بكل معنى الكلمة، ويعتقد كولن -مثل أرسطو وسقراط وكونفوشيوس وكثيرين غيرهم- أن الآلية الفطرية لتحقيق الإنسانية بشكل كامل، تكمن في قدرتنا على التعلم. يقول كولن:

"وبما أن الحياة "الحقيقية" لا تأتي إلا بالمعرفة، فإن من يهملون التعليم والتعلم يُعتبَرون "ميّتين"، حتى وإن كانوا أحياء من الناحية البيولوجية، فقد خُلقنا لنتعلم ونَنقلَ ما تعلمناه إلى غيرنا".

التعليم والحضارة

يتحدث كولن في مختلف أجزاء مؤلفاته، عن حاجة كل الناس إلى التعليم العام حتى يمكن لأي حضارة من الحضارات أن تؤدي مهامها، فيقول: "إن الناس لا يكونون "متحضِّرين" إلا بقدر ما يحصلون عليه من تعليم، وخاصةً القيم التقليدية الخاصة بثقافة معينة، فالتماسك في الحياة على كافة المستويات، يأتي عن طريق تعليم كل المواطنين -في أي أمة أو دولة- رؤيةً واحدة مشتركة ومنظومةً أساسية من القيم".

إلا أن هذه الحركة العالمية للتعليم عند كولن، تتعدى التركيز على مجموعة محددة من القيم أو المعايير الثقافية، فالمدارس -الألفان تقريبًا- التي استلهمت فكر كولن، والتي تنتشر في جميع أنحاء العالم، تدرِّس للأطفال والشباب جميع المجالات والتخصصات الدراسية؛ من العلوم والرياضيات والتاريخ واللغة والأدب والدراسات الاجتماعية أو الثقافية والفنون والموسيقى وغيرها.

وقد قام الكثيرون ممن ألهمتهم تعاليم كولن، بإنشاء مدارس في تركيا بعد سماح الحكومة بإنشاء المدارس الخاصة[٢]، بشرط أن تظل ملتزمة بالمناهج التي تفرضها الدولة وتخضع لإشراف الدولة. وتتبنى المدارس التي تتأثر بأفكار كولن في البلدان الأخرى نفس الاتجاه التربوي الأساسي الذي تتبناه المدارس في تركيا، ولكن بدرجة أكبر من التفاعل مع الثقافة والقيم الوطنية لتلك البلدان.. حتى إن كولن نفسه لا يَعرف بدقة عددَ هذه المدارس أو حتى أسماءها. فقد حفَّز مثالُه الرائد كتربوي -وكذلك أفكاره عن التعليم والمجتمع العالمي والتقدم الإنساني وغير ذلك- جيلاً كاملاً لإنشاء المدارس في جميع أنحاء تركيا ووسط آسيا وأوروبا وإفريقيا وغيرها من المناطق، لمحاربة المشاكل الناجمة عن الجهل والفقر والشقاق.

مصادر التمويل

وتتلخص البنية والشخصية الأساسية لتلك المدارس في أن تمويلها يأتي من المؤسسات الخيرية والجماعات الأهلية ومصاريف الدراسة، وتساهم الإدارات المحلية بتوفير البنية التحتية، ويعمل المدرسون فيها بدافع خدمة الغير وبأجور متوسطة غالبًا.

لقد زرتُ الكثير من هذه المدارس في مختلف أنحاء تركيا، والتقيت بداعميها من رجال الأعمال المحليين وقيادات المجتمع المحلي، الذين تلاقت جهودهم لإنشاء تلك المدارس في مجتمعاتهم المحلية. وفي حالات كثيرة تكون أبنية تلك المدارس هي الأحدث في المنطقة، وتمتلئ الجدران بصور الطلاب الذين تسلموا أوسمة في مختلف المسابقات الدراسية محليًا ودوليًا وزيارات لعدد كبير من الوزراء ونواب البرلمان في تركيا، وتحتوي على حجرات دراسة ومعامل وتجهيزات على أعلى مستوى حتى بعد أن يستخدمها مئات الطلاب الشغوفين، كما أن طلابها أذكياء ومنفتحون ومتحمسون لاستعمال لغتهم الإنجليزية مع الزوار الأمريكيين.. أما مسؤولو هذه المدارس والإداريون والمعلمون، فلديهم التفاني والتركيز ويفتخرون بمدارسهم وطلابهم، والكثيرون منهم يقيمون مع الطلاب في مقار المدارس التي توفر الإقامة.

وقد جلست على مائدة الطعام مع الكثير من الأسر التركية التي ترسل أطفالها إلى تلك المدارس، وسألتهم نفس السؤال الذي أطرحه في كل مدينة وكل منطقة: "لماذا ترسلون أطفالكم إلى هذه المدرسة؟"، وكانت الإجابة واحدة في كل مرة: "تفاني المعلمين، وجودة المناهج، والرؤية العامة التي تنشرها المدرسة -عن

hiragate.com

طريق المعلمين- فيما يتعلق بالإنسانية العالمية والتعليم والتسامح والحوار".

رفاق درب التعليم

ولا تشمل رؤية كولن التربويةُ المدارسَ وحدها، بل تشمل أيضًا الأسر والمجتمعات والإعلام.. فكل المكونات الرئيسية للمجتمع، يجب حشدها من أجل تعليم الشباب وإكسابهم جميع المعارف والمعلومات المفيدة، وهو شيء في غاية الأهمية؛ لأن مستقبل أي أمة أو حضارة يتوقف على شبابها.. يقول كولن:

"إن من يريدون ضمان مستقبلهم، لا يمكن أن يهملوا كيفية تعليم أطفالهم وتربيتهم، فينبغي أن تتعاون الأسرة والمدرسة والبيئة المحيطة ووسائل الإعلام بكل أشكالها، لضمان تحقيق النتيجة المنشودة. وإذا لم يؤد واحد أو اثنان من هذه دورَه، فهذا يعني أن الشباب قد ترك ليتضارب في هذا الجو من المتناقضات. فإذا لم تكن المدرسة متعاونة مع الأسرة، وإذا لم يتعاون الإعلام مع الأسرة والمدرسة، وإذا لم تكن البيئة في خط هؤلاء، فستكون العملية التربوية منحصرة في الإطار الذي تُجرى فيه. ومن البدهي أن هذا التأطير لن يأتي بالفائدة المرجوة. وبتحديد أكبر، ينبغي على الإعلام المساهمة في تعليم النشء عن طريق اتباع السياسة التربوية التي يرضاها المجتمع، والمدرسة يجب أن تكون على أفضل ما يمكن من حيث المناهج والمعايير العلمية والأخلاقية للمعلمين، والحالة المادية للمكان، أما الأسرة فيجب أن توفر الدفء والجو المناسب لتنشئة الأطفال". ■

(*) كاتبة أكاديمية في جامعة "رايس" الأمريكية / الولايات المتحدة الأمريكية. وهي مؤلفة كتاب "محاورات حضارية".

الهوامش

(١) للأسف الشديد تم إغلاق المدارس المذكورة في المقال، إلى جانب أكثر من ألف مدرسة مماثلة من مدارس الخدمة في تركيا بعد الانقلاب المزعوم في ١٥ يوليو/تموز ٢٠١٧ من قِبل الحزب الحاكم بدون أيّ مبرر قانوني، وتم طرد ما يقارب من ٢٥ ألف معلّم يعملون في هذه المدارس من وظائفهم، وتم تشريد الطلاب إلى مدارس أخرى. (المحرر)

البوصلة

قد ينهار كل شيء، فلا تقل آهٍ آه،
قل توكلت عليه والجأ إلى الله،
هذا واجبنا عند البلايا،
من يطرق بابه لا يخيب رجاه.

***

السنوسي محمد السنوسي*

لماذا تنضب الأفكار؟

غنيٌّ عن البيان والإيضاح أن العقل هو ما يميز بني آدم عن بقية المخلوقات، وأنه التاج الذي وُضِعَ على رأسه؛ حيث صار الإنسان بهذا العقل-مع ما أُنزِل إليه من منهج- مؤهَّلاً لحمل لواء العبودية، وجديرًا بعمارة الأرض، وقادرًا على استنباط معادلات الكون والكشف عن نواميسه.

هذا العقل هو معمل الأفكار، وهو الماكينة التي تُنتج لنا قماشة الفكر والإبداع لنشكِّل منها صنوف الألبسة والأغطية، ونكوّن من أنسجتها مظاهر العمران المادي والمعنوي في الأنفس والآفاق.

وإذا جاز لنا أن نعتبر العقلَ آلةً، فإن تعطُّلَ هذه الآلة لا يعود سببه إليها وحدها، إنما يعود بالدرجة الأولى لمن أهملها وجعلها عرضة للأتربة ولعوامل التعرية، ولم يقم حق القيام بصيانتها وتوفير ما يُبقيها فاعلة وفعَّالة، ومنتجةً باستمرار وكفاءة.

وثقتنا بقدرة هذه الآلة على معاودة سيرتها الأولى من الإنتاج والكفاءة والدوران بلا كلل ولا ملل، يجب ألاَّ تهتز، فضلاً عن أن تضمحل، بل من المهم أن نستعيد هذه الثقة، وأن نعمل بقدر ما يسعنا العمل على تنظيف هذه الماكينة من الأتربة والصدأ، وأن نستبعد تروسها المعطلة وأجزاءها التي لم تعد صالحة للعمل، لنُحِلَّ محلَّها تروسًا صحيحة فتيَّة.

وليس خافيًا على أحد أن أزمتنا الحضارية إنما هي -بصورة أساسية- أزمةُ فكرٍ؛ فكرٍ نَضَبَ مَعينُه وبات يَجترُّ نفسَه، وأمسى غيرَ قادر على أن يتجاوب مع زمانه بتسارعه، ومع ظروفه بتغيُّرِها.

هي إذن أزمة في هذا العقل الذي ركن إلى المألوف، واستسهل السير على طُرقٍ ورثها ولو كانت غير معبَّدة، وكَسِلَ عن مدِّ البصر خارج مُدركاته التي لم يحاول اختبارها ولا فَحْصَها، ليتبين صحيحَها من باطلها، وقويَّها من عَلِيلها، وما زال منها قابلاً للعطاء مما أصابه العطن. ولو تأملنا أسبابَ نضوبِ هذا الفكر، وتجمُّدِ هذا العقل -مما أدى لأزمتنا الحضارية وما تفرَّع عنها من أزمات في مجالات شتى- فيمكن لنا أن نتلمس عدة أسباب من وراء ذلك.

• أول هذه الأسباب هو جهل قيمة العقل الذي يمثل- كما أشرنا- معمل الأفكار، ومَعين الأطروحات، ومختبَر التفاعلات الذهنية.. هذا الجهل الذي ترسَّب نتيجة معارك قديمة ثارت حول علاقة العقل بالنقل، متوهِّمة التضاد بينهما؛ فإما نقل واتباع، أو عقل وشطحات، دون إدراك لما بين العقل والنقل من ترابط وثيق، ومن تكامل

في هداية الإنسان وفي رَسْم طريق النجاة له دنيا وآخرة.

فبتعبير أبي حامد الغزالي -رحمه الله- في "معارج القدس في مدارج معرفة النفس": "العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لم يُتبيَّن إلا بالعقل.. فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل؛ وهما متعاضدان بل متحدان".

• كما أن النظر إلى من سبق من أئمة وعلماء ودعاة، بنوع من التبجيل الزائد على الحد؛ تبجيلاً قد يُخرجهم من كونهم مجتهدين يصيبون ويخطئون إلى معصومين ليس الخطأ واردًا بحقهم.. هو أيضًا سبب من أسباب نضوب الفكر وتحنط العقل؛ لأن نظرة التبجيل هذه -القريبة من التقديس- تمنع من إعمال النظر فيما ورثناه عنهم، وترفض أي محاولة للبناء على جهودهم بما لم يكن مطروحًا في زمانهم.. فهي نظرة تدعو لاتباعهم اتباعًا حرفيًّا وكأن الزمان قد جَمَد عندهم، وكأن الأحوالَ لم تتغير من بعدهم، والوقائعَ لم تتجدد من بعد وقائعهم.

يجب ألا نخلط بين ضرورة الإفادة ممن سبقنا -من علماء ومجتهدين أفذاذ، مع توفيتهم حقهم من الاحترام اللازم والتبجيل الواجب- وبين الانسياق وراءهم بلا وعي واتباعهم بلا فقه، أو عدم مراعاة ما دخل على واقعنا من مستجدات لم تكن معروفةً لديهم ولا قائمة في زمانهم.. إنهم لو أدركوا ما أدركنا، لكان لهم في هذه المستجدات رأيٌ غير رأينا وموقف غير موقفنا؛ لأنهم كانوا أشد تفاعلاً مع واقعهم من تفاعلنا مع واقعنا، وأكثر تحررًا تجاه من سبقهم، بخلاف حالنا تجاه من سبقنا.

إن الوفاء الحق لمن سبقونا ومهَّدوا لنا بجهودهم وعطائهم الطريقَ في ميادينَ شتى، لا يكون بالالتزام بالنتائج التي انتهوا إليها وإنْ كانت منبثقة عن واقع غير واقعنا، وإنما يكون بالاهتداء بطرائق نظرهم وتفكيرهم التي اهتدوا بها.. فإن طرائق التفكير ومناهج النظر هي الأساس، وهي الآلة التي يمكن استصحابها في الأحوال المختلفة، بخلاف الأحكام والنتائج التي تختلف باختلاف الظروف والبيئات، فيما دون مُحْكَمات الشرع وبدهيات العقل.

• ويأتي عدم الاطلاع العميق على أحوال العصر، وعدم الاشتباك معه كما ينبغي، على النحو الذي يجعل المفكر أو من يتصدى للإصلاح خبيرًا بمشكلات العصر وتطلُّعاته، عليمًا بمعادلاته وتطوراته، ليمثل -أي عدم الاطلاع هذا- سببًا ثالثًا رئيسًا من الأسباب المكبِّلة

إن الوفاء الحق لمن سبقونا ومهَّدوا لنا بجهودهم وعطائهم الطريقَ في ميادينَ شتى، لا يكون بالالتزام بالنتائج التي انتهوا إليها وإنْ كانت منبثقة عن واقع غير واقعنا، وإنما يكون بالاهتداء بطرائق نظرهم وتفكيرهم التي اهتدوا بها.

للعقل، المعيقة إياه عن الانطلاق والتجديد.

كثيرون من مريدي الإصلاح يعيشون بمعزل عن الواقع، ولا يحيطون علمًا بخرائطه المتشابكة، ولا يقفون جيدًا على أزماته ومعاناته، ومن ثم فإنهم يطرحون أفكارًا لا تناسب هذا الواقع، ويَبدون كما لو كانوا يعيشون واقعًا غير واقعهم، ومتأثرين بزمان غير زمانهم.

إن شرطًا مهمًّا من شرائط الأفكار المتجددة، النابضة بالحياة، هو أن يعيش أصحابها في واقعهم وفي زمانهم. قد يجوز لهم أن يسبقوا الواقع والزمان، بل يجب أن يسبقوهما، لكن لا يجوز بحال من الأحوال أن يتخلَّفوا عنهما، ولا أن يكفُّوا عن الاشتباك معهما.

صاحب الفكر لا يتحرك في فراغ، ولا ينكفئ على نفسه، ولا يكتفي بأن يَسمع صوتَه أذناه فحسب، بل يسعى ضمن إطار جغرافي وفي مدى زمني، ويتحرك للآخرين ساعيًا لأن يُسمعهم صوته وينشر بينهم فكره، ومحاولاً أن يسدَّ ما يراه من ثغرات، ويعالجَ ما يحيط به من أدواء.

والالتحام الجيد بهذا الإطار الجغرافي والمدى الزماني اللذين يتحرك فيهما، وبواقع هؤلاء الذين يخاطبهم، هو ما يملأ معينه بالأفكار فلا ينضب، ويَمد عقله بالزاد المتجدد فلا يتكلَّس.

إن الإقرار بوجود أزمة فكرية عميقة، وبأننا في مسيس الحاجة إلى تجديد عقولنا وبيئتنا، وطريقة نظرنا لما يواجهنا من تحديات، وما نمتلك من إمكانات.. إن ذلك لهو مقدمة أولية لجهود حثيثة مطلوبة بإلحاح، ولمراجعات جذرية باتت تمثل أكثر من ضرورة، ولآمال في النهوض والتقدم لا يجوز أن تبقى معلَّقة في الهواء لفترة أطول من ذلك. ■

(*) كاتب وباحث، وسكرتير تحرير مجلة التبيان / مصر.

hiragate.com

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلًا ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار النيل
للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس التحرير
هانئ رسلان

مدير التحرير
إسماعيل قايار

الإخراج الفني
أحمد شحاتة
ياووز يالمز

منسق الاشتراكات
علاء الكوابري
+201000780841
+201023201002

نوع النشر
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229

EGYPT
٣٧ شارع د. عبد الشافي محمد – الحي السابع، مدينة نصر – القاهرة.
هاتف: +201091242075 - +201119482609
hiraegypt@gmail.com

ALGERIA
Bois des Cars 1 Villa N°68 Dely Brahim
GSM: +213 770 26 00 22

NIGERIA
.Nusret Educational And Cultural Co. Ltd
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
nusretnigeria@gmail.com

IRAQ
Kani Irfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000

USA
Tughra Books
Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA 345
Phone:+1 732 868 0210
Fax:+1 732 868 0211

EUROPE
World Media Group AG
Sprendlinger Landstrabe 107-109
63069 Offenbach a. Main / Germany
Phone: 069 / 300 34 130
Fax: 069 / 300 34 105
dergiler@wmgag.eu

كيف نفهم **روح القرآن؟**

كيف نحسن تنزيل **معانيه الخالدة** إلى حياتنا المعاصرة؟

مدخل إلى **عالم القرآن الذهبي..**

جديد

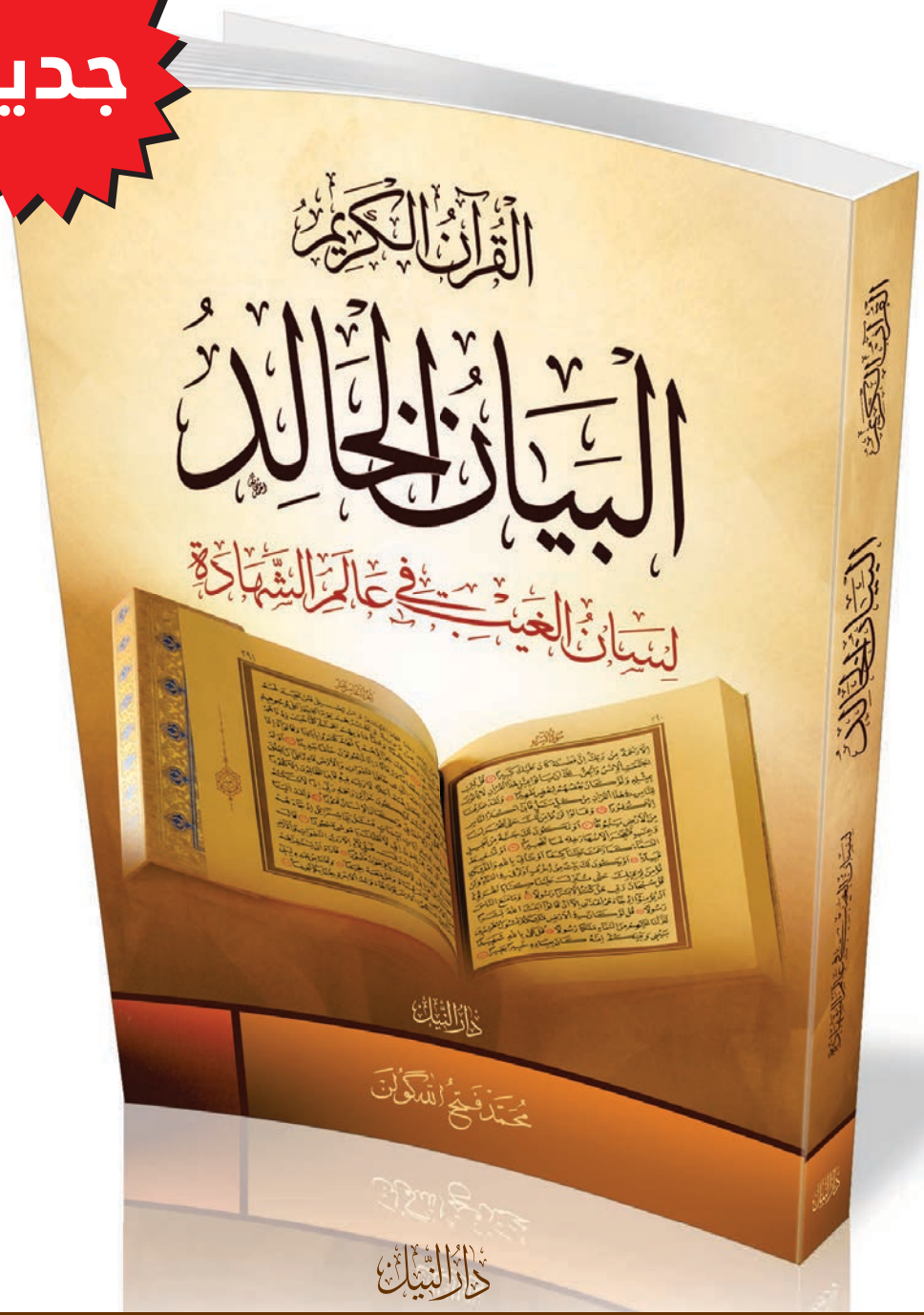

مركز التوزيع: دار النيل للنشر | info@daralnile.com | 00201023201002

مركز البيع الإلكتروني: www.neelwafurat.com | www.souq.com

مركز البيع المجلد العربي: 01275470090 | **دار أصول الدين:** 01115534566

جوامع الكلم: 01150726663 | **دار السلام للنشر:** 0222873246 | @nilepublishing | @daralnilemasr

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

الكنز

إن خيّم الضبابُ على الجبال والوديان،
وتَصاعَد الأنينُ تلو الأنين،
واجتاح الديارَ طوفانٌ إثر ألف طوفان،
فلا تيأس! فسوف تسمو فوقها بالإيمان.

***

ISSN 2357-0229
63
9 772357 022004
www.hiragate.com